

# المسحاة

مجلة

المجلد الحادي عشر  
الجزء السادس والسابع



إهداء من

طبعة دار الوفاء  
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

## ﴿ الخاتمة ﴾

### ﴿ في ذكر آيات علمية من القرآن ﴾

قلنا إن القرآن الشريف لم يأت لتعليم الناس شيئاً من العلوم الطبيعية ولكن مع ذلك لم تخل آياته من التعبيرات الدقيقة العلمية ولا من الإشارة إلى حقائق كثيرة من المسائل الطبيعية مما يدل على أنه تنزيل العليم الحكيم فان هذه المسائل ما كانت معروفة لأحد في زمنه ولا يمكن لعربي أمي في ذلك الوقت أن يقف عليها لولا وحي الله . ولندكر هنا شيئاً من هذه الآيات المشتملة على التعبيرات الدقيقة والمسائل العلمية الطبيعية

(١) قال الله تعالى (٥٧:٧) وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقاه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ) وقال أيضاً (٤٣:٢٤) ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار ٤٤ يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ) وفيه إشارة إلى أن البرق يتولد من السحاب وقوله ( من جبال فيها ) هو تشبيه لقطع الحساب العظيمة بالجبال لما بينهما من التشابه في الشكل وعدم الانتظام وعظم الحجم كاشبه أمواج الماء بالجبال في قوله ( وهي تجري بهم في موج كالجبال )

(٢) قال تعالى (٨٨:٢٨) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون ) وهو صريح في حركة الأرض . وليس ذلك في شأن القيامة فان قوله ( تحسبها جامدة ) لا يناسب مقام التهويل والتخويف وقوله ( صنع الله الذي أتقن كل شيء ) لا يناسب مقام الإهلاك والابادة . وقال أيضاً (٩١:٩١) والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها ) وهو أيضاً يشير إلى حركة الأرض

(٢) راجع ص ٢٦٠ م ٦ وص ١٠٤ وما بعدها م ٨ وص ٩٢٠ م ٩

## (المنارج ٦ م ١١) آيات علمية من القرآن ٤٥٣

(٣) قال تعالى ( ٣: ٢٠ ) أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ) وهو صريح في أن الأرض والكواكب كانت شيئاً واحداً ثم انفصل بعضها عن بعض وهو كقول العلماء الطبيعيين إنها كلها أجزاء انفصلت عن الشمس وكانت ملتهبة فصارت تبرد شيئاً فشيئاً وإلى ذلك يشير القرآن بقوله أيضاً ( ١١: ٤١ ) ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ) أي وهي ذات دخان لا تهاب أجزائها ولكون أجزائها في الحالة الغازية

(٤) قال الله تعالى ( ٣: ١٣ ) ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ) وهو صريح في أن الثمرات جميعاً فيها الذكر والأنثى وهو أمر لم يعرف إلا من عهد قريب . والقرآن نفسه هو الذي فسر الزوجين بذلك في آية أخرى بقوله ( وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى )

(٥) قال الله تعالى ( ٢٢ : ١٥ ) وأرسلنا الرياح لواقح ) أي ملقحات للأشجار (٦) قال الله تعالى ( ١٧ : ١٢ ) فبحرنا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ) وهو يشير إلى أن القمر ( وهو آية الليل ) مظلم لذاته

(٧) قال الله تعالى ( ٣٦ : ٣٧ ) وآية ليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ٣٨ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ٣٩ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ٤٠ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون )

(٨) قال الله تعالى ( ٣٩ : ٢١ ) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض ) الآية

قل لي بأبيك أي عربي أمي يعرف هذه المسائل أو تخطر له على بال وخصوصاً في تلك الأزمان التي كان فيها أعلم العلماء في أرقى البلاد يجمل بعض هذه الحقائق المذكورة في القرآن كدوران الأرض وكون جميع السيارات منفصلة عن أصل



واحد وأنها كانت دخانا . وأن الثمرات جميعاً فيها الذكر والأنثى وأن الرياح هي التي تلقحها إلى غير ذلك من دقائق المسائل العلمية الطبيعية . وكلها دلائل على أن هذا الكتاب ليس من صنع البشر بل هو تنزيل من الله العليم الحكيم  
الدكتور محمد توفيق صدقي

## باب المناظرة والمراسلة

٤

### ﴿ بحث العمل بأحاديث الآحاد والحديث المتواتر ﴾

ولنعمد فنقول التواتر هو وإن كان من الطرق المفيدة للعلم إذا وجد إلا أنا لا نحصر إفادة العلم بالأخبار فيه كما أنا لا نلزم به كل أحد قبل أن يعرف أنه متواتر إذا لم يقصر في الطلب أو كان معذورا بعده عن أهله  
قال حضرة الدكتور لم يتواتر من أقواله (ص) إلا القليل الذي لا شيء فيه من أحكام الدين

أقول ما ذكره غير مسلم والتواتر هو ما نقله جمع عن جمع يبعد تواطؤهم على الكذب أي عن محسوس وقد اختلفوا اختلافاً كثيراً في تعيين هذا الجمع . وبناءً على تعيين الجمع فيما نظن قال بعضهم بندرة وعزّة التواتر في الأحاديث النبوية . وهذا أولى ما يقال في الاعتذار عن ابن الصلاح في قوله بذلك

قال السيوطي نقلاً عن شيخ الإسلام أن قول ابن الصلاح نشأ عن قلة الإطلاع على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لابتعاد العادة أن يتواطؤوا على الكذب أو يجعل منهم اتفاقاً — قال ومن أحسن ما يقرر به كون التواتر موجوداً وجوداً كثرة في الأحاديث أن الكتب المشهورة (أي المتواترة عن مؤلفيها) بأيدي الناس شرقاً وغرباً المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مؤلفيها إذا اجتمعت (أي أو اجتمع بعضها كما قال ذلك جمهور أهل الحديث) على حديث وتعددت طرقه تعدداً



## (المنارج ٦م ١١) إفادة أحاديث الآحاد المتصلة للعلم ٢٥٥

تجمل العادة تواطؤهم على الكذب افاد العلم اليقيني بصحته الى قائله . قال ومثل ذلك في الخُتب المشهورة كثير . اهـ

واقول أيضاً ان من تجرد عن التعصب والتقليد لا تخفى عليه الحقيقة المنشودة في هذا الباب . وبما قدمناه وما يأتي يظهر للمُنصف مكانة الخبر الذي ينقله آحاد ثقات قد عرفوا بقوة الحفظ والذكاء والعدالة والورع والتقوى وعرفوا ان الكذب على رسول الله (ص) ليس ككذب على احد وان من كذب عليه متعمداً يَتَبَوَّأْ مقعده من النار اعتقدوا ذلك وهم بالصفات التي عرفت وتحملوا من الرواية ما اعتقدوا وجوب العمل به ثم وجوب تأديته لغيرهم كالأمانة وقد علموا ما في الخيانة من الوعيد والترهيب عن كتم العلم

فاذا إتصل سند الخبر بمثل من ذكرناه فهو فيما نعتقد مفيد للعلم اي يعيد ايمنع العقل عن مثل من نعتاه الكذب عادة ورب رجل يعدل رجلاً — فان قيل سلمنا ان من كان مثل هذا يعد منه الكذب عادة الا انه لا يؤمن عليه النسيان قلت قد علم من عادة المحدثين كتابة ما سمعوه وعلى الاقل للمراجعة الى وقت التأدية وهم لا يعتمدون على المكتوبات الا ما كان موثقاً به ومحفوظاً بغاية الاحتياط ولا يقبلون المكتوبات التي لا يدري حالها وان كان كاتبها ثقة — وهذا اكبر دليل على ان ما عندهم من الاخبار اصح ما وجد من الاخبار في العالم بعد كتاب الله — وانما كان تواتر القرآن مقدماً على كل خبر لانه نقل بمثل هذه الاسانيد يقينية متواترة — على انا نستبعد عادة ان الراوي الذي ذكرنا صفاته يحدث بما نسيه اذ لو فعل ذلك لم يكن بالمرتبة التي ذكرناها لا سيما في احاديث الاحكام والاعمال لشدة حاجته وحاجة معاصريه الى العمل بها . على أنه اذا نسي ذلك لا يحدث به وان حدث فانه يذكر اللفظ بالشك . ويبعد كل البعد ان ينسى نسيانه لذلك وابعد من ذلك ان لا يوجد هذا الحديث عند غيره

على انه لو فرض وقوع ذلك وهو غاية الندور فلا نسلم ان ذلك يضر في الدين اذ قد اغتفر ذلك أي النسيان والخطاء فيما حجة الناس اليه اكثر وفيما وجب فيه زيادة الاحتياط وهما فيه اشد ضرراً وفيما هو سبب للضرر بلا واسطة وذلك

## ٤٥٦ اتفاق البشر على اعتماد خبر الواحد (المنازع ١١م ٦)

في القضاء لان أحد الخصمين قد يكون ألحن بحجته من الآخر فليضر الحاكمان  
بحكم بخلاف الواقع في هذه الحالة اذا لم يقصر فلأن يقتصر ذلك في الرواية اولى  
لكون الضرر منها ان وجد لا يكون هو السبب المباشر للضرر غالباً . فتبين بذلك ان  
ماعسى ان يطمئن به في الرواية التي وصفناها مع كونه لا يضر في الدين هو بناء شاذ  
على شاذ على شاذ كل منها يبعد وقوعه عادة — بل هو اولى بالوثوق من خبر الجمع  
الفسقة غير الموثقين الذين يقال في خبرهم يمنع او يبعد العقل تواطؤهم على الكذب  
عادة . فبعد الكذب عن ذكرناه اكثر من بعده عن جمع التواتر الذي ذكره  
وحيث كان الاصل في جميع العلوم سواء كانت تصورية او تصديقية هو ما  
ادركه الشخص بأحد مشاعره الظاهرة أو الباطنة أو ما دل العقل عليه أو الوحي  
السموي وهذا الاخير لا يكون الا علماً حقاً دائماً وما تقدمه يتفاوت الناس فيه تفاوتاً  
لا يحصره حد فقد صح لدينا عن المتقدمين وشهدنا ورأينا ما لا يحصى في زماننا انه  
قد تصحح الجماعات ما يعدونه علماً لديهم بتطبيقه على معلومات فرد واحد بل قد  
يتبين فساد معتقدهم في جانب معلومات الفرد الواحد — وذلك دليل واضح على  
ان الفرد الواحد الممتاز بالكمال في صفاته وعاداته يعادل بل يرجح بالافراد الكثيرين  
من نبي نوعه

ونحن ايضاً نرى الشخص المنصف قد يتهم نفسه فيما سمعه بأذنه اذا خالفه  
فيه من يعتقد انه احفظ منه فمثل هذا المنصف اذا اتهم نفسه فيما سمعه بأذن نفسه  
وقدم على ذلك خبر الممتاز الذي ذكرناه قد يبعد كل البعد ان يقدم على خبر سمعه  
بنفسه خبر الكثيرين غير العدول — وهل يمكن ان يقال ما علمه الانسان وسمعه  
لا يسمى علماً لجواز زواله بالنسيان؛ فتبين بطلان الخبر أو العلم بعد اعتقاد ثبوته هو  
عندنا يضارع زوال العلم بالنسيان

وايضاً احتمال النسيان في الخبر مع الذهول عنه كما انه لا يضر الخبر وهو علم  
في حقه ما لم يتذكر انه نسيه فكذلك لا يضر الخبر بالفتح اذا كان الخبر بالكسر  
بالصفات التي ذكرناها

ان خبر الأحاد قد اتفق على اعتباره جميع البشر كما هو مشاهد واعتبرته

## (المنار ج ٦ م ١١) إقادة أحاديث الآحاد المتصلة للعلم ٤٥٧

الكتب السماوية في شرائها وانباء الله ورسله في التبليغ عنه والله ورسوله امر الأمة أن يلفوا عنهما جمعاً وفرادى وبعبارة أخرى كل فرد فرد من الأمة مأمور بالتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكليم الله موسى بن عمران عليه السلام ترك بلد من أمرة الله بأنذارهم وخرج من بين أظهرهم الى مدين معتمدا على خبر الواحد . وأثنى الله على من احتج بخبر الواحد كقوله من آل فرعون الى غير ذلك مما لا يكفي لبسطه المجلدات .

كل ذلك معلوم بالضرورة ولا ينكره الا مكابر فكيف يصح قول حضرة الدكتور لا يجب العمل بخبر الآحاد مطلقاً ومن ثم قال الامام احمد رحمه الله إن خبر الآحاد الصحيح يفيد العلم وبه قال داود الظاهري والكرائسي والحاسبي وحكي هذا عن مالك بن أنس .

فان قيل ان الجمهور قائلون بأن خبر الآحاد يفيد الظن . قلنا أولاً اذا كان غرض الباحث مقصوراً على طلب الحق وهو ضالته فلا محل لهذا الاعتراض من أصله على انه يحتمل ان يكون قولهم « خبر الآحاد يفيد الظن » قضية مبهمة أي وهي في قوة الجزئية (١) وبهذا الاعتبار يكون بعض أخبار الآحاد قد يفيد العلم

وأيضاً المعروف من مذهب الجمهور ان المشهور والمستفيض لا يجري فيه الخلاف وذهبوا أيضاً الى ان خبر الآحاد يفيد العلم اذا تلقته الأمة بالقبول بحيث يكونون بين عامل به ومتأول له لأن التأويل فرع القبول وجعلوا من هذا القسم احاديث الصحيحين — بل أكثر احاديث ما صنف فيما يحتج به من الكتب التي صفت في الصحاح والحسان لأنخبار الحسان بتعدد الطرق — ولا يهولنك ما قد تسمع به من التفرقة بين رجال الصحيح ورجال الحسن فان شرائطهم في رجال الحديث الحسن ربما لا يلفها من وسم بأعلام الفضل والعدالة في زماننا هذا — يدلك على ذلك ما عرف عنهم من أقوالهم في الجرح حتى انهم قد يعدّون احاديث من

(١) المنار : أي هي بمعنى بعض خبر الآحاد يفيد الظن . وفيه ان المتبادر من

الإضافة العموم الذي هو بمعنى الكلية وكلامهم صريح في هذا

(المنار ج ٦) (٥٨) (المجلد الحادي عشر)



## ٤٥٨ كتب الحديث المشهورة تلقها الأمة بالقبول (المنهج ٦ م ١١)

سمع في بيته الفناء موضوعه — فان قيل ان هذا افراط قد يؤدي الى ضياع كثير من السنن. قلنا لكنه يدل على أن ما في أيديهم مما وسموه بالصحة والحسن منقذ ومبرأ من كل احتمال يؤدي الى عدم قبوله — على أننا لا نسلم انحصار وجود ذلك عند من تركوه بل يجوز وجود ذلك عند غيره من الثقات ان كان هو من السنة في نفس الأمر وان كان مكذوباً فلا حاجة لهم ولا لنا به

ان أحاديث الكتب المشهورة عن مؤلفيها فيما يحتاج به من السنن النبوية قد عرفت الأمة بأسرها صحتها أو حسناتها تعدد الطرق وصارت مقبولة عند الكل وأكثرها قد جمعت ودونت في عهد التابعين أو تابعيهم أما مجرد الكتابة بلا ترتيب للعمل أو للحفظ فقد كان في زمن الصحابة (رض) كما ثبت ذلك من طرق عديدة

وعليه فما قرروا صحته فقد اتفقت الأمة على قبوله اذ كانوا بين عامل به ومتأول وهو يفيد العلم لان سكوتهم عن الطعن فيما هو كهذا بل قبولهم له يدل على معرفة كل واحد من العاملين به أو المتأولين له بصحته وهم في كل طريق وطبقة عدد كثير لا يجوز العقل تواطؤهم على الكذب عادة

وأيضاً يدل ذلك على ان هناك طرقاً معضدة كثيرة ألتجأهم الى عدم الردولها نرى من لم يلتزم ذلك بالعمل عدل الى التأويل — وان ما هذه حاله لا يبعد ان يقول انه اعلا من بعض أنواع المتواتر — وما ذكرناه معلوم ان عرف حال المحدثين واحتياطهم في رواية السنة —

الاراهم قد عمدوا حتى الى جميع ماشاع على السنة العوام مما نسب الى النبي (ص) ثم صرحوا بتزييف الزائف وما له أصل ردوه الى أصله فما بالك وما رأيك فيهم اذا وجدوا ما لا يصح مكتوباً في كتب الهداية ؟ اراهم يسكتون عليه وقد عرف من عاداتهم ان ما في اسناده ولو مجهول واحد لا يحتاج به عندهم ؟ ان أهل الحديث لا يعتبرون رواية من انحطت درجته عن مرتبة رجال الحسن لا اعتقادهم ان كثرة الكذابين ونحوهم لا يزيدون الخبر الا وهناً —

لو كانوا يأخذون برواية كل من روى حتى الكذابين والفسقة والكفار كما هي عادة التواترية لبلغ رواية كل حديث من أحاديث الاحكام في كل طبقة الى

## (المنارج ٦م ١١) منع كون أحاديث الآحاد تفيد الظن المذموم ٤٥٩

حد الكثرة التي يعتبرها التواترية - فان كان أحد يشك في قولنا فليتبمع كتب الصحاح والحسان وكتب الأحاديث الضعيفة وكتب موضوعات الحديث وغيرها من كتب السير والمغازي والتواريخ المسندة والتفاسير وغيرها - انا لا أشك انه يجد أسانيد متعددة لكل حديث فاذا لم يتقيد بطريقة أهل الحديث في شرائط الرواية وجرى على طريقة التواترية فهو يجزم بان رجال هذه الأسانيد يعدتواطوهم على الكذب - لا سيما اذا لاحظ من عمل بكل حديث من العلماء من عهد النبي (ص) الى حين كتابتها في كتب الحديث -

يقول التواترية ان خبر الآحاد يفيد الظن وقد قدمنا فساده ويرتبون على ذلك كبرى قياس من الشكل الأول وهي فكل ظن أو كل عمل بالظن فهو مذموم بنص القرآن وقد عرفت فساد الصغرى (١) والحق ان بعض الآحاد يفيد العلم وأيضاً نحن لانسلم الكبرى كلية لأن القرآن انما ذم الخرص وبعض الظن لقوله تعالى «ان بعض الظن إثم» وأيضاً ما ذكره الله من الظن المذموم انما هو الظن في تأسيس الشرائع بلا اعتماد على بينة من الله في ذلك ومن تتبع آيات القرآن في ذلك وجده انما يذم هذا النوع من الظن أو ما هو في معناه كما قال تعالى قبل ذلك «هل عندكم من سلطان بهذا» وقوله «ما أنزل بها من سلطان» وقد يذمهم الله بمعارضتهم ما أنزل من الحق بهذا الظن الفاسد الذي لا يستند الى أصل صحيح كما يرد عليهم تعالى شأنه في قوله «ان الظن لا يغني من الحق شيئاً» وهذا لا يصدق على الاحاديث الصحاح ولو كانت آحاداً ولا على من يعمل بها ولو كان يعتقد ان ذلك من الظن اذ لا يصدق ولا نسلم انها من الظن المذموم اذ هؤلاء لم يعارضوا بها المقطوع اليقيني غاية ما في الباب ان بعض أهل الحديث أو أكثرهم قد جوزوا نسخ القرآن بأحاديث الآحاد الصحاح وقد قدمنا ان جمهورهم يقول ان بعض الآحاد تفيد العلم ومن كان هذا قوله فلا يراد عليه واما من يقول بان ذلك يفيد

(١) المنارج: اي قولهم ان خبر الآحاد يفيد الظن . وهي المقدمة الاولى من

مقدمتي القياس اي الدليل

الظن فكذلك لا إيراد عليه لأنه يقول إن بقاء الحكم ظنياً والحكم المتأخر عنه في الحديث الصحيح أقوى وأرجح فهو إنما أجاز نسخ الظن الضعيف بالظن القوي .  
 إن من قال بأن جميع أخبار الآحاد تفيد الظن وإن كل الظن مذموم عند الله وفي كتابه القرآن الكريم — لزمه أن القرآن متناقض متخالف وأنه من عند غير الله لأن الله أمر وأوجب الحكم بنحو الآحاد وسماه عدلاً في قوله وإذا « حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل — وكون الشيء هناك مذموماً وهنا عدلاً تناقض وخلف وهو في القرآن محال وما انتج المحال فهو مثله فلزم أن الذم لا يتناول خبر الآحاد حتى على التسليم بأنه ظن فعلي كل تقدير خبر الآحاد الصحيح عدل واجب العمل به على كل من عرف أنه صحيح والله أعلم

وأيضاً إطلاق الظن مقابل العلم إنما هو اصطلاح حادث يخالف لاصطلاح القرآن وعاداته في محاوراته لأن الله جل وعلا قد أطلق على العلم اسم الظن في مواضع كثيرة من القرآن كما قال تعالى حكاية عن الجن — وانا ظننا أن لن نعجز الله . وقوله اني ظننت اني ملائكة حساية — وظنوا أنهم أحيط بهم — وظنوا أنهم قد كذبوا — فظنوا أنهم واقعوها إلى غير ذلك مما أطلق فيه لفظ الظن والمراد به العلم فكذلك حملة القرآن من العلماء لا يبعد أن يطلقوا على العلم لفظ الظن كلهم أو بعضهم

فمن يقول منهم أن بعض الأحاديث الصحاح تفيد الظن يمكن أن يحمل قوله على ما ذكرنا على أنا قد قدمنا أنه لا تصدق على ذلك تلك الآيات الواردة في بعض الظن لعدم العلة الجامعة — وفوق ذلك تقول أن عملهم بالأحاديث الصحاح إنما هو من باب الاختبار والعمل بأحسن الأمرين أو الأمور التي انحصر الحق فيها وما ذلك إلا لمرجح علموه لا ظنوه كما قال تعالى « اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم — تتقبل منهم أحسن ما عملوا — فيتبعون أحسنه » إلى غير ذلك فإذا تعارضت أدلة ولا سبيل للخروج عنها كلها لا انحصار الحق فيها — والحالة أن الاتباع فرض لازم كما قال تعالى « قل إن كنتم تحبون الله ورسوله فاتبعوني يحببكم الله » فيجب على العالم أن يجتهد وإذا رجح أحدها فهو إنما يرجح بمرجح علمه لا ظنه فلا يصح أن يقال إن هذا عمل بالظن حتى يقال إنه مذموم



ثم قول للتواترية ان كل ما الزتم به متبعي حديث الآحاد الصحيح هو لازم لكم في تواتركم بمعناه عنكم وزيادة على ذلك تلزمكم شاعات وفضائح لا يلزمها الا من نفى يديه من دين الاسلام بل من سائر الاديان ونحن نبرئ حضرة الدكتور عن التزام ما يؤدى الى ذلك لما عرفنا من كتابته السابقة التي اعلن الرجوع عنها فنعتد انه انما يحب الحق واظهاره وانه عند تجليه له لا يتوانى عن قبوله بغاية السرور والبشاشة بل يظهر للملأ رجوعه وان ذلك لما يزيده عند كل منصف اجلالا

### ﴿ بحث التواتر ﴾

ماهو التواتر؟ — هو غير معروف عند السلف من المسلمين وانما يعبرون عما كثرت رواياته او ما روته المجموع بالمشهور وهو عندهم كفيده لا بد من رواية الثقات له والا لم يكن مقبولا

اما من عرف عنه التواتر فقد اختلفت عباراتهم في تفسيره اي حده ففهم من قال هو ما نقله جمع يحصل العلم بروايتهم ضرورة — ومنهم من قال خبر جمع عن محسوس يتمتع تواطؤهم على الكذب عادة من حيث كثرتهم — ثم اختلفوا هل يمكن تعيين جمع يكون اقل نصاب جمع التواتر فقال بعضهم اقله اربعة وقيل خمسة وقيل عشرة وقيل اثنا عشر وقيل عشرون وقيل اربعون وقيل سبعون وقيل ثلاثمائة وبضعة عشر وقيل اربع عشرة مائة وقيل جميع الامة وقيل بحيث لا يحويهم بلد ولا يحصرهم عدد والمرجح عند التواترين عدم تعيين عدد مخصوص وانما مداره عندهم على حصول العلم من حيث كثرة العدد تارة ومن حيث القرائن اخرى

اقول من احاط علما بما ذكرناه من اختلافهم في هذا التواتر وفي شرائطه تحقق ان هذا شيء ليس من عند الله اذ لا يمكن القطع به ولا يمكن طرده ولا تطبيقه على كل ما في الاعيان من الوقائع طردا على وتيرة واحدة بحيث يتفق عليه كافة الناس ويكون قاعدة يصح المرجع اليه لفصل النزاع —

يوضح ذلك انه يمكن على معتمد التواترية وقول جمهورهم ان يكون خبر اهل البلدة العظيمة متواترا كباريس مثلا واذا كان خبر الثلاثة والاربعة او الخمسة يصح

## ٤٦٢ افادة التواتر للعلم بالقرائن لا الكثرة ( الملتاج ١١م )

ان يكون متواترا بمعنى انه يتمتع تواطؤهم على الكذب عادة والامتناع هذا يكون تارة لمجرد الكثرة اي بلا اعتبار قيد من القيود المعتبرة في الرواية عند اهل الرواية كالبلوغ وكمال العقل والاسلام والعدالة الى غير ذلك . واذا كان الامر كذلك فاذا اخبر خمسة من الفجرة بخبر مثلا فنحن نناشد الله كل ذي عقل وبصيرة هل يحصل له العلم الضروري بخبرهم وهل يتمتع عنده تواطؤهم على الكذب لكونهم جماعا حتى لو كانوا كفارا فجرة اخبروا مرة دفعة واحدة ؟ فان كابر وقال نعم قلنا له وهل يجب ان يحصل لكل احد مثل علمك من خبر هؤلاء ؟ وهل تعد من خالفك مكابرا بدلا عن تكون انت المكابر ؟ نحن نستبعد ادعاء عاقل مثل هذه الدعاوي الباطلة

وكذلك قول ان كل جمع يفرضه التواتر مفيدا للعلم من جهة انه جمع فقط لا بد ان يرد عليه ايراد صحيح يقضه الا انه في بعضها ايمن واظهر من بعض الا ترى ان اعلى ماثلوا به لذلك هو قولهم كأن يخبر اهل باريس بقتل او موت كبيرهم مثلا قالوا ان هذا يفيد العلم بسبب كثرتهم . ونحن نقول في الجواب عن ذلك هذا مثال واحد ولا يمكن وجود مثله دائما حتى يصح طرده في كل موضع مما يتنازع الناس فيه . ويقال فيه ايضا يمكن ان يكون افادة الخبر العلم في مثل هذا المثال انما كان لقرائن ككونهم اي اهل باريس ونحوهم لافائدة ولا نقصان ولا مضرة عليهم من اظهار مثل هذه الواقعة فصدقهم هنا انما هو للقرائن لا الكثرة لاننا نجد الفرق بين مثل هذا المثال وبين خبر اهل باريس أنفسهم فيما اذا كانوا محصورين بهساكر الانكليز مثلا فاخبروا بقدوم عساكر الروس الى بلدهم لامدادهم فهل خبرهم والحالة ماذكرنا يفيد العساكر المحاصرة العلم الضروري بحيث لا يتشوفون الى صحته ؟ وهل يمكن كذبهم والحالة هذه ام لا ؟ نحن لا نستبعد الكذب فضلا عن عدم امكانه حينئذ

فان قيل نحن نرى انفسنا مطمئنة لا يتازعها شك في وجود البلدان النائية التي لم نرها ولا نرى سببا لذلك الا ماتواتر الينا من الاخبار بوجودها قلنا نعم والامر كذلك لكن لا يستلزم ان يكون سبب هذا العلم مجرد الكثرة

## (المنار ج ٦ م ١١) إفادة التواتر للعلم بالقرائن لا الكثرة ٤٦٣

وان كانوا كفارا او فسقة فجارا بل لعل ذلك من الكثرة مع انضمام القرائن فان القرائن انواع واصناف لا يكاد يحصرها حد أو عد بل القرائن قد تقارن خبر الواحد الكاذب المعروف بكذبه وفسقه فيفيد خبره العلم اذا قارنته وايدته وهي تختلف باختلاف اماكن المخبرين وزمانهم ككونهم اخبروا دفعة او متفرقين وباختلاف حالهم من خوف وأمان وعسر ويسر وحب الاوطان والاقدام والفخر وارهاب ورجاء الى غير ذلك مما يعود على الافراد بفائدة او نقص ولو بتوسط فائدة او نقص طوائفهم واممهم واقوامهم واطنائهم

ولما ذكرناه واضاعف اضعافه مما لم نذكره ولتعدد ذلك لو سلم صحته ولان تكليف العباد به تكليف لما لا يستطيع بل التزامه وحصر العلم الخبري فيه تعطيل لا كثر معارف البشر وإلغاء لا كثر الاحكام الديانات ان لم تقل لكلها واحراج للناس في جميع معاملاتهم ومعاشاتهم وموجب لتقاطعهم فردا فردا كالبهايم لم يجعل الله ذلك اصلا ولا قاعدة ولا مناطا لتحقيق شيء من الامور الدينية ولا الدنيوية ولا نبه عليه احد من انبيائه عليهم الصلاة والسلام ولم نعرفه عن احد من السلف الصالح لا الصحابة ولا تابعيهم باحسان

فالحق عندنا ان اخبار الجموع لا تفيد العلم الا اذا ايدتها القرائن او شاركهم التقات - وخبر التقات المتواتر هو اعلاها كتواتر القرآن الكريم - ثم خبر الاحاد الأثبات الضابطين بشر وطهم يفيد من عرف حالهم او حال من وثقهم العلم ويجب على من بلغه خبر عن المعصوم (ص) ان يبحث عن حاله وحال رواته فاذا وجدهم بالشروط المقبولة فلا يجوز له اهمال ذلك الخبر لاجل كونه لم يتواتر ما عرفت مما قدمناه كما هو اجماع المسلمين والله المستعان (لرسالة بقية)



## أهم الأخبار والآراء

( إعادة القانون الاساسي ومجلس المبعوثان في الدولة العلية )

في صبيحة يوم الجمعة المبارك ٢٥ جمادى الآخرة صدرت الإرادة السلطانية بإعادة « مجلس المبعوثان » والأوامر من مقام الصدارة الى الولايات بالانتخاب. فشمّل الفرح والسرور جميع العثمانيين في دار السلطنة وجميع الولايات وفي جميع أقطار الأرض وعدوا هذا اليوم العظيم عيداً عاماً للأمة العثمانية على اختلاف مللها وأصنافها أما سبب نيل هذه الأمنية التي تشوف إليها العثمانيون من نحو ثلث قرن بعد ما سلبت منهم فهو التدبير العظيم الذي قامت به جمعيات الأحرار العثمانيين في أوربا ومصر بعد اتحادها ودخول كبار ضباط الجيش المستنيرين فيها أوربا في ذلك في وقت آخر وما كاد نبأ البرق يوافي مصر بهذه البشرى حتى انبث فيها بين العثمانيين من الترك والسوريين والأرمن وغيرهم قأنشاً يهنيء بعضهم بعضاً والبشر يتدفق من وجوههم . ثم طاف جمهور منهم في الشوارع الكبيرة بالقرب من الأزبكية وهم يهتفون بالأناشيد العثمانية

ثم اجتمع مئات منهم في رحبة قهوة « اسبلند دبار » وطلق يترنم بعضهم بالأناشيد والآخرون يصفقون لهم . وقام غير واحد منهم فخطبوا بالتركية وقام صاحب هذه المجلة فخطب بالعربية خطبة وجيزة صفق لها الجمهور من حملة الطرايش والبرانيط بهجة واستحساناً . كان موضوع الخطاب ان هذا اليوم عيد لجميع العثمانيين على اختلاف مذاهبهم وأديانهم واجناسهم وان الفضل في نيلنا الدستور عائد لمساعي أحرارنا وجمعياتنا السياسية ، وضباطنا ذوي البسالة والحمية ، وانه يجدر بنا معشر العثمانيين ان نفاخر جميع الأمم بنيل الدستور من غير ثورات داخلية تراق فيها دماء الالوف ويهلك فيها الحرث والنسل : وانه ينبغي لنا ان ننسى الماضي وان نعمل للمستقبل فنظهر للأمم كلها اننا أهل لهذا النوع الراقي من الحكومة فيجب ان يتحد اتركيا والعربي والرومي والأرمني وسائر الاجناس العثمانية ويقوموا بالأعمال التي ترفع شأن البلاد على قواعد المحبة والمساواة ...

## (المنارج ٦ م ١١) اجتماع الأحرار للاحتفال والتهاني بالدستور ٤٦٥

ومما قلته ايضاً انا نشكر للحضرة السلطانية المبادرة الى اجابة طلب الضباط الناطقين بلسان أحرار الامة . فبطل التصفيق او قل عند ذكر السلطان وأشار كثير من الترك والأرمن اشارات الانكار

وفي يوم السبت التالي اجتمع في دار رفيق بك العظم جهور عظيم من فضلاء العثمانيين المختلفين في الجنس المتحددين في العثمانية لأجل المذاكرة في تنظيم مظاهرة باعلان السرور وإرسال برقيات الشكر الى جمعيات الأحرار في أوروبا والى الاستانة وقد كانت جمعية الشورى العثمانية قررت في يوم الأربعاء الماضي جمع أكثر هؤلاء الأحرار للمذاكرة في شؤون الثورة ومطالبة الصد الأعظم سعيد باشا بأن يختم تاريخه بمساعدة الامة على إعادة الدستور وجمع «مجلس المبعوثان» فلما بشرنا بالبرق في مساء يوم الجمعة بصدور الارادة السلطانية بذلك تحول مقصد الاجتماع الى ما ذكرنا اقترح الجمهور ان ترسل تهنئة برقية الى الامير صباح الدين داماد (ابن اخت السلطان) رئيس جمعيات الأحرار بباريس يشكر له فيها سعيه وسعي الأحرار ويكلفه فيها ان يبلغ نيازي بك رئيس الضباط الذين اظهروا الثورة العسكرية في مكدونية وإخوانه كنوري بك وانور بك شكرهم وسرورهم . ورسالة اخرى الى الصدر الأعظم فاقترح صاحب هذه المجلة إرسال رسالة خاصة الى السلطان . قلت : ان ضباطنا وأحرارنا طلبوا والسلطان أعطى فنشكر له أنه قدر الحال حق قدرها وبادر الى الاجابة ولم يضطر الجند الى سفك الدماء . فواقفتي على هذا الاقتراح من حضر من السوريين أكثرهم بالقول وبعضهم بالسكوت . وعارضني أكثر الترك والأرمن وقال واحد من أشهر أحرار الترك : انه لم يجب الطلب فضلاً واحساناً ولكنه اجابه بعد ان أشرعت في وجهه مئة وخمسون ألف حربة (سنكه) وقال بعض المعتدلين منهم لا بأس بأن يذكر في تغراف الصدر الأعظم تبليغ السلطان سرور العثمانيين وبعده طول البحث انتخب الجمهور لجنة منهم لتقرير ما يجب وجعلوا رئيسها اسماعيل حقي بك القائمقام العسكري (لان الدستور رجع بقوة الجند) فقررت ان تحتفل في احد دور التمثيل احتفالاً يخاطب فيه العثمانيون بالتركية والعربية والفرنسية

(المنارج ٦) (٥٩) (المجلد الحادي عشر)

## ٤٦٦ اجتماع المصريين لآظهار السرور بالدستور (المنار ج ٦ م ١١)

والارمنية والرومية . وان يعرض على الجمهور المحتفل صورة رسالتين برقيتين إحداهما  
للامير صباح الدين افندي والثانية للصدر الأعظم وترسلان بعد اقراره عليهما . وقد  
بذل الحاضرون ما يلزم من النقود لاجل ذلك بغير اكتاب بل بمجرد الأريحية .  
وفي مساء ذلك اليوم اجتمع جمهور من المصريين في حديقة الأزبكية لآظهار السرور  
بنيل العثمانيين للدستور ومجلس النواب (المبعوثان) حضرنا هذا الاجتماع في اثناائه واقترح  
علينا حسين بك تيمور الذي دعا الى الاحتفال وبعض العثمانيين ان نخطب بالحاضرين  
خطبة تناسب المقام وكان جل اقوالهم إطراء للسلطان بأنه تفضل وتكرم بالدستوراي  
بغير علة ولا سبب ، ولا ثورة ولا طلب ، وان جيوشه منتشرة من منابع النيل الى  
سيلان !!! ثم رأينا الجرائد كتبت عن هذا الاحتفال فوصفته الجريدة والمقطع  
كما حصل وذكر اللواء عنه نبذة صغيرة معظمها كذب . وهذا ما جاء في الجريدة

## مظاهرة في حديقة الأزبكية

اعلن حضرة حسين بك تيمور - انه سيخطب في حديقة الأزبكية نحو الساعة  
السادسة بعد ظهر أمس لآظهار السرور بمنحة الدستور لأخواننا العثمانيين . فبناء على  
هذا الاعلان توافد الناس من خاصة وعامة الى حديقة الأزبكية ولما وافت الساعة  
السادسة التفتوا حول كوشك الموسيقى فافتتح الخطابة حضرة ربيع افندي المدرس  
بالمدرسة التحضيرية فبسط كلمة عن فوائد الدستور ثم قال اتنا نؤمل البلوغ الى  
غايتنا من نيل المجلس النيابي وان طال علينا الامد . ثم اختتم خطبته بالدعاء لجلالة  
السلطان والامة العثمانية والجناب العالي . وتلاه شاب يدعى الشيخ حسين الغزي  
من طلبة العلم في الازهر الشريف فحذا حذو الخطيب الاول في الموضوع ثم تلاه  
حضرة الشيخ صادق عمران فتلا قصيدة يمدح بها جلالة السلطان والامة العثمانية  
ثم طلب جماعة من رجال الصحافة والادب الى حضرة الاستاذ العلامة السيد رشيد  
رضا صاحب مجلة المنار أن يتكلم في الموضوع كلمات تروي القليل فأجاب دعوتهم  
واوَّقى مكان الخطابة فقال ما خلاصته

« هذا اليوم هو عيد للعثمانيين عامة وعيد المسلمين خاصة فنه عيد بحكومة



## (المنار ج ٦ م ١١) خطبة صاحب المنار بالازبكية ٤٦٧

الشورى التي يتمتع بخيرها العثمانيون كافة من جميع الملل والاجناس . وحكومة الشورى التي قررها الاسلام بقوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » وقوله « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو رددوه الى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »

مسائل الأمن والخوف من الأمور العامة المتعلقة بسياسة الأمة وإدارتها ولم يفوض القرآن الأمر فيه الى الرسول ( ص ) وحده وهو الامام المعصوم وصاحب الشريعة ومبلغها بل جعل الأمر فيها اليه وإلى أولى الأمر من الأمة يديرونها بالشورى بينهم من هم أولوا الأمر ؟ زعم بعض المخرفين أو المخرفين ان أولى الأمر هم الملوك والسلطين وهو زعم ظاهر البطلان فان الرسول لم يكن معه حين نزلت الآية ملوك وسلطين وانما كان يستشير أولى الرأي والمكانة من الأمة فهم أولوا الأمر بغير نزاع أفرايتم هذه الهداية إلى حكومة الشورى وسلطة الأمة . هل يوجد عناية وتأکید في شريعة ودين أبلغ منها ؟ اذا كان رب العالمين لم يرض ان يكون خاتم رسله مستقلاً بإدارة الأمور العامة دون أهل الرأي من أمته فكيف يرضى أو يشرع لغيره ممن هو دونه بذلك ؟

مع هذا كله لم تلبث حكومة الاسلام بعد اخلفاء الراشدين ان صارت شخصية استبدادية ولا نخوض في الكلام عن الماضي فانما غرضنا الكلام عن الحاضر تقلب الزمان ودالت الدول ودخل العالم الانساني في طور جديد فسبق غير المسلمين الى حكومة الشورى وكانت حكومة دولتنا العلية وهي شخصية على خطر بين الحكومات النيابية الشورية المجاورة لها ففكر بعض أصحاب العقول الكبيرة فيها من نحو نصف قرن في جعل الحكم بيد الأمة وانفذوا ذلك من نحو ثلث قرن فوضعوا القانون الاساسي وأنشأوا « مجلس المبعوثان » الذي تعبرون عنه بمجلس النواب ولكن لم تلبث السلطة المطلقة ان استردت هذه المنحة أو هذا الحق منهم لو كانت :لأمة العثمانية في ذلك الوقت مستعدة للدستور استعدادها اليوم لما أمكن أخذه منها ولكنها لم تنله باستعداد الجمهور بل باستعداد أفراد من نابغي وزرائها أصحاب الادمغة الكبيرة والافكار البعيدة والغيرة الشديدة كمدحت باشا واخوانه

## ٤٦٨ التهاني لصاحب المنار بالدستور (المنار ج ٦ م ١١)

لم يكن العقلاء في الأمة العثمانية يعدون على الأصابع فيموت الدستور بموتهم بل كان في الأمة كثير من أهل الثرية العالية والمعارف السامية ولكنهم لم يكونوا منبئين في الأمة كلها ولا مشتغلين بأشرب روحها معنى الحكم الذاتي

فلما رأوا أنفسهم قد سلبوا ما فيه سعادة الأمة وعزة الدولة وأنه لا سبيل إلى استرجاعه من الأعلى كما جاء أولاً بتدبير مدحت باشا وحسين عوني باشا وإخوانهم رأوا أن يطلبوه من جانب الأمة بتوجيه نفوس المعلمين إليه فانشأوا الجمعيات السرية التي ظلت تسعى وتدأب وتصارع الصعوبات حتى أتبع لها الظفر الآسن ونالت ما تتمناه « ولما بلغ هذا المقام من البيان التاريخي المفيد كبر على أناس لم يفقهوا قوله

فحدث شيء من الشغب واتقطع الخطيب عن الخطابة اه كلام الجريدة وأزيد على ما ذكرته الجريدة ما جاء في بعض الصحف وهو أن بعض المصريين صاح ليحي السلطان . لتسقط تركيا الفتاة . أو حزب تركيا الفتاة . فصاح بصياحه جمهور من الحاضرين فاستاء من كان هناك من فضلاء الترك وغيرهم من العثمانيين وقال قائل منهم : يا شيخ رشيد لا تتكلم على هؤلاء الذين لا يفهمون . فما زادهم ذلك الا صياحا بسقوط تركيا الفتاة اي الأمة العثمانية في حياتها الدستورية الجديدة!!! وظنوا الجاهلهم أن من لوازم حب السلطان أن يعيش على شيخوخته وضعفه عمر أطويلا بغير امة او بامة ميتة وجودها كالعدم فكذا يكون الاحتفال بالدستور!! اما العثمانيون الا خيار فقد جعلوا موعد احتفالهم مساء يوم الثلاثاء غرة رجب وأن لا يذكر الخطباء فيه اسم السلطان بدم ولا مدح ولا تهنته ولا شكر عملا برأي السواد الاعظم وخلافا لرأي اكثر السوريين وهم العدد الاقل في جمهور المؤتمرين بالاحتفال وسند كر شيئا عن الاحتفال في الجزء الآتي

أرسل اليها كثير من المحبين رسائل التهاني بنيل أمته للدستور لعلمهم بما أصابنا من الاستبداد منها ما طار به البرق ومنها ما عدا به البريد، منها ما هو بعزوانا الخاص ومنها ما هو بوصف جمعية الشورى العثمانية . فنشكر لجميع المهنيين عاطفتهم الشريفة ونخص بالذكر لجنة الشورى العثمانية في البرازيل وربما ننشر شيئا مما فيه العبرة والفائدة من تلك الرسائل

## الفصل العاشر\*)

محمد ( عليه الصلاة والسلام ) قبل تزوج خديجة

وإذا العناية صاحبت مرءاً فلا      تكثر سؤالك فيه كيف ولم وما  
ودع التردد إن أتاك حديثه      مهما حوّلتهما مهما سما  
لاتسأل كيف أبدع الإنسان من فلق الكواكب من رتق موادها،  
وقدر مدارات لحركاتها، ونظامات لتقابلها، وأنشأ منهن المقسمات ليلنا  
ونهارنا، المدبرات صيفنا وشتاءنا، الناظيات في أحشائهن شملنا، المادّات  
بنسائهن نسماتنا، وبأرواحهن كياناتنا، ولا تسأل لم خلق لنا الأرض جميعا  
نشرح أحشاءها، ونقطع أوصالها، ونستخرج أفلاذها، قد حصرناها  
على عظمها في يدنا، وحشرنا كل ما فيها في ذرات صغيرة من دماغنا، إن  
شئنا نرفع من شأنها بما نركب من أجزاءها، فيأتي منها من البدائع ما يدهش  
الآبائنا، ويسحر أبصارنا، وإن شئنا لم نعبأ بها، واستشرقت نفوسنا إلى  
غيرها، فاطلنا إلى مصادر الأرواح ومواردنا، ومشارك الأسرار  
ومنازلها، وارتفعنا إلى ينابيع الكوان ومظاهرها، وتلمسنا ثمة حياة لا  
نحتاج فيها إلى ماء الأرض وهوائها، وترايبها ونارها

ولا تسأل كيف تقاربت صورنا معشر الإنس وتباعدت حقائقنا،  
ولم طالت آمالنا وأعمالنا، وقصرت آجالنا وأعمارنا، ولم جشمت نفوسنا  
بتكثير الصور ثم شغقت كل نفس بأزواع منها، وتخالقنا في تمييزها وترجيح

(\*) من سيرة السيدة خديجة



## ٤٧٠ تذكير بالناية الازلية (النازج ٦ م ١١)

بعضها على بعض، وتدابيراً في مناهج طلابها، وقاطنات في سبيل اكتسابها،  
ولم هذا البون في أنصباتنا، والفرق في صرامينا، والبعد في مدارجنا،  
والغبين في معارجنا،

ولماذا منا أناس مع الكواكب مداركهم ساجدة في أفلاك الحقائق،  
وبروج الرقائق والدقائق، ومع الأنوار سيرهم منتشرة في سابق الدهور  
ولاحقها، وبادي الشعوب وحاضرها، وآخرون مع الديدان مشاعريهم دابة  
بين أوراق الآجام وأحطابها، أو تحت دخان القنار وقصها، ومع العصف  
صورهم منطوية في أحشاء الأواكل، ومندرجة في الأواخر مع أخواتهم  
الأوائل

لاتسأل عن هذا كله ان كانت نفسك قد وقفت عند مطمأنها من  
معرفة الاول الآخر، الظاهر الباطن، ذي الحياة الازلية الساري  
مرها في الاكوان والوجودات، البادي خط جلالها وجمالها على لوح  
الآيات البينات، من الاشكال والتنوعات، ومن آياته أن خلقكم من  
تراب ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون \* ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم  
أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً ان في ذلك لآياتٍ  
لقوم يفكرون \* ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم  
والوانكم ان في ذلك لآيات للمالعين \* ومن آياته منامكم بالليل والنهار  
وابتغائكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون \* ومن آياته يريكم  
البرق خوفاً وطمئناً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها  
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون \* ومن آياته أن قوم السماء والأرض  
بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون

## (المنار ج ١١ م ١١) عناية الله بالعرب وبعبد المطلب خاصة ٤٧١

إذا وقفت نفسك عند هذا المظان من المعرفة فلعلمها تصل بك إلى معرفة  
أن ذا الحياة الأزلية ذو حكمة ليس في وسع استمدادنا أن نحيط بأسرارها  
خبراً مهما حامت حولها آمال مدار كنا، ومهما طافت في سوح قدسها  
صوافي سرائرها، فأخلق بأحدنا أن يتذكر في هذه المساح التكريية عجز  
أجنحة عقولنا عن أن تصل بنا إلى مادون هذا السر الأعظم، ووقوتها بنا  
في كثير من أشراك الأوهام في الوجودات التي هي تحت حسوسنا،  
وفي جوار جسومنا ونفوسنا

وعسى أن ترقى بك هذه المعرفة إلى الاذعان بأن هذا الحي الأزلي  
الحكيم ذو عناية ربانية لا يحاسب على ما يختص بها ممن يشاء فله الأمر  
كله فيما يييدي، ويصور، وله الحكمة فيما يتوع ويميز، منه كل شيء  
والله المآب

وان كنت في ريب من الحكمة الأزلية، والعناية السرمدية، فدع نفسك  
واقفة ماشاءت في عمة النبي، أو دائرة في سجن الشك، أو طائفة في  
جو الوم لا قرار لها. وانما نمحي هنا للذين هم برهم يؤمنون



سبق في العناية الأزلية أن تكون هداية شموب كثيرة إلى أقوم  
سبل الحياة على يد رجل من العرب يرتفع به اسمهم في العالمين وكان من  
هذا الشرف الذي أعتده الله للعرب أعظم نصيب لعبد المطلب الذي  
أخرج الله انسان هذه الهداية من أولاده

كان عبد المطلب<sup>(١)</sup> من كبار أشراف قريش ورزق عشرة أولاد

(١) اسم عبد المطلب شيبه وتسميته ببعد المطلب حكاية وهي أن أباه هاشم

## ٤٧٢ شرف عبد المطلب بالنبي (ص) (المنار ج ٦ م ١١)

من الذكور وكان ابنه عبد الله أحبهم إليه فزوجه شريفة من شرائف  
قريش من بني زهرة تدعى آمنة فحملت منه وقبل أن تضع حملها توفي فلما  
وضعت كفل وليدها جده وكان هذا الوليد المبارك «محمداً» صاحب القرآن  
فما أسعدك يا عبد المطلب أ كنت تدري وأنت في أبواب أبرهة  
الجبشي تتطلب منه رد ذلك القليل من الإبل الذي لك مما استاقه من إبل  
مكة أن سيولد لك في هذا العام حفيد تشي أعناق الملوك في الاجيال المقبلة  
خاضعةً لذكركه

أ كنت تفكر اذ قصارى أملك حفظ مقامك بين قومك المنقطعين  
في تلك البرية ان اسمك سترن به المحافل في الامصار النائية والشعوب  
المختلفة على مدى عصور كثيرة كلما ذكر نسب حفيدك العظيم الذي أعتهه الله  
لنصب يتبعه من أجله العالم ويبقى ذكره فيهم الى الابد  
أخطر على قلبك أن بلدك المقدس الذي لم يكن يحج اليه الا العرب  
ستحج اليه كل شعوب الارض اتباعاً لما جاءهم به حفيدك من الهداية  
أجاء في خلدك ان كنتك آمنة الزهرية انما ولدت من يشرف الله  
به قومك ويجمع به كلمتهم ويعلي سلطانهم وينشر لغتهم ويقيم لهم مجداً مع  
الدهر مذكوراً، وفي كتاب العالم مسطوراً

= كان قد تزوج أمه من بني النجار في « يثرب » ( المدينة ) فلما ولدته تركه عندها  
حتى كبر وكان هاشم تاجراً فخرج تجارة الى الشام فأتى في « غزة » فذهب أخوه  
المطلب بن عبد مناف ليأتي بابن أخيه فأبى والدته أن تعطيه إياه حتى أقامها بأن انامته  
في بلدته وبين قومه وعشيرته خير له ولما جاء به كان مردفه خافه على بغير فظنت  
قريش انه عبد ابتاعه فقالوا لعبد المطلب وقال لهم المطلب ويحكم انما هو ابن أخي  
هاشم قدمت به من المدينة ولكن ذاعت كلمة عبد المطلب فاشتهر بها وصارت كأنها علم له



( المارچ ٦ م ١١ ) ناربغ مولد النبي (ص) ٤٧٣

هل كنتَ ملها اذ سميتَه محمدًا؟ وكنت على رجاء كبير بأن يقيم له  
المالون تحميداً لا ينقطع، وتحميداً لا يزول؟  
أعرفت أنك بحفظك هذا اليتيم وكفالتك إياه وعنايتك به إنما  
كنت تحفظ للعالم كله التحفة التي آتاهم الله من كرمه، والوديمة القدوسية  
التي اختص الله بيتك لظهورها، وقومك لا تتشاربدا نورها  
فأنت بما أوتيت من هذه السعادة الخالدة جدير أيها المخصوص بناية  
الحبي الأزلي، فليدم ذكرك جلالاً للمحافل واسمك سامياً مع اسم حفيدك  
نبي الشعوب وبركة العالم \* \*

كانت ولادة محمد في القرن السادس من ميلاد المسيح عليهما  
الصلاة والسلام أي حوالي سنة سبعين وخمسة مئة منه وحوالي السنة الثامنة  
والأربعين من ملك كسرى أو شروان . ولم يكن قومه يعرفون سني  
الأمم وتواريخها ولا سني انفسهم وانما كانوا يحفظون الأعمار ويوقتون آجال  
الأشياء بالوقائع الشهيرة والحوادث العظيمة كما هو شأن الأميين إلى عهدنا  
ولعام القبل وهي سنة اشتهرت بهذا الاسم لوقوع حادثة فيها عندهم تدور  
صفوة حكايتها على حزن فيل القائد النجاشي وابائه المسير لقاء مكة لذلك سميت  
بهذا الاسم . وحادثة القبل شديدة الشهرة ويصح ان نقول انها من التاريخ  
المقدس عند المسلمين أي انها ذكرت في القرآن ولكن على أسلوبه في  
القصص التي يذكرها لاجل العبرة فقط لا على أسلوب المؤرخين وثقله الأخبار  
وقد أعطي لمرضعة على عادة قريش في اعطائهم الأولاد للمراضع  
من القبائل النازلة قرب مكة ابتغاء ان تربي أجسامهم في البادية حيث  
الأرض النظيفة قد كسيت من الأزاهر أبدع النمازق الطبيعية، والنسائم  
( المارچ ٦ ) ( ٦٠ ) ( المجلد الحادي عشر )

## ٤٧٤ خبر رضاء النبي ومرضته حليلة السعدية (المنار ج ٦ م ١١)

متحملة من ذلك المير تهديه الى النفوس راحة وغادية

إذا بزغ رأس النهار أرسل إلى أفئدة أهل النشاط روحاً مبشراً بطيب  
عقبى العمل، وسوء منقلب الكسل، وكان بينه وبين سكان البراري وساسة  
الأنعام عهداً أن لا يقبل بطلته الباسمة الا وهم مستقبليه بالتحيات الطيبات  
من مباسم همهم، وتغور اجتهادهم، ورافقون اليه آيات الشكر على ماله من  
الايادي البيضاء في اخضرار عيشهم، وايضاض وجوه آمالهم

بزغ الفجر يوماً على نسنتين في أباطح تهامة قد أسفر عليهما  
البشر، وتقدت النبطة من أعماق جوانحهما الى أسارير وجهيهما، ولم يكن  
ذلك الانس والبشر لما حولهما من مجالي عرائس الطبيعة لان السماء كانت  
شحيحة عليهم تلك السنة فلم تترع حياضهم، ولا أوقت رياضهم، ولولم يصن  
الوادي لهم القليل مما أغشوا به مرة لقتلهم الظأ - ولما حولهما من وافر الرزق  
وسابغ النعم لانهم لم يكونا يملكان الا فنيات قد جارت عليها السنة، وقتلها الجود  
والجذب، ولكن كان ذلك السرور بنعمة جديدة أصاباها فلاتهما فرحاً،  
وأشبعتهما ابتهاجاً، ولم يكونا يفتران عن هذا الحديث الذي كانا يتفديان به  
صباح مساء، ويجددان به شكري على هذه النماء، وهذا ما كانا يتحدثان به :

— حقاً يا حليلة انك قد جئتنا بتحفة سنوية ونسمة مباركة

— أي والله يا حارث وانظر ما أجمله، انظر الى هذه الاشجار الهدب،  
انظر الى هذه العيون الدعج، انظر الى هذا الجبين الازهر، انظر ما أبهى  
انعكاس هذا الضياء المقبل من الشرق على مرآة هذا الجبين

كان هذا الحديث يجري بين امرأة وزوجها من قبيلة بني سعد صديحة  
يوم كانا قبله في مكة وكانت هذه المرأة هي التي جاءت بحفيد عبد المطلب

لترضعه وقد حدثت هي حديثها كيف جاءت به وكيف رأت من بركته قالت  
خرجت مع زوجي وابن لي صغير على أتان لي قراء<sup>(١)</sup> معنا شارف<sup>(٢)</sup>  
لنا والله ما تبض بقطرة وما تنام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من  
بكائه من الجوع ما في ثديي ما يغنيه ، وما في شاربنا ما يغذيه ، ولكننا كنا  
نرجو الفيت والفرج ، فخرجت على أتانتي تلك فلقد أذمت<sup>(٣)</sup> بالركب  
ضعفنا وعجزنا حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعا فما منا امرأة الا وقد عرض  
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك انما  
كنا نرجو المروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم وما عسى أن تصنع  
أمه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي الا أخذت  
رضيما غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي « والله اني لا أكره أن  
أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعا والله لا ذهبن الى ذلك اليتيم فلا خذنه »  
قال لا عليك ان تقلي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة ، قالت فذهبت  
اليه فأخذته وما حملني على اخذه الا اني لم أجد غيره . قالت فلما أخذته  
رجعت به الى رحلي فلما وضعته في حجرني أقبل عليه ثدياي بما شاء من  
لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما وما كنا ننام  
معه قبل ذلك . وقام زوجي الى شاربنا تلك فاذا انها حافل<sup>(٤)</sup> فلب منها ما  
شرب وشربت معه حتى انتهينا ربا وشبعنا فبينا بخير ليلة قالت . يقول صاحبي  
حين أصبحنا تملني والله يا دليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت فقلت  
والله اني لا رجو ذلك . قالت ثم خرجنا وركبت أتانتي وحملتني عليها معي فوالله

(١) القمرة بالنجم لولن الى الحضرة . أو يارس فيه كدرة . حمار أقره أتان قراء

(٢) الشارف النقة المسنة « ٣ » أذمت بالركب أي حبستهم لا تقطاع سيرها من

خلفها أي هزأها وضمفها « ٤ » حافل كثيرة اللبن



لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حرم حتى ان صواحي ليقان لي  
«يا ابنة ابي ذؤيب ويحك اربعي علينا»<sup>(١)</sup> أليست هذه أنا لك التي كنت  
خرجت عليها؟ فأقول لهن بلي والله انهما لهي. فيلقن «والله ان لها لشأناً  
قالت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض  
الله أجذب منها فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً  
فحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان  
الحاضرون من قومنا يقولون لرعايتهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي  
بنت ابي ذؤيب. فتروح أغنامهم جياً ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي  
شباعاً لبناً فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته  
وكان يشب شباباً لا يشبه النملان»

فيا لك من سميدة يا حليلة اذ كتب لك ارضاع اليتيم الذي تربيته العناية  
الخاصة ولم يكشف لك من آثامها الا هذه البركة التي ملأت يديك ووليككن ايها  
المراضع الفيات الممرضات عن اليتيم التماساً لارضاء الذين لهم آباء. لقد فاقكن  
الحظ وما الحظوظ بالاختيار، وعزاء لكم ايها اليتامى فقد عاش محمد العظيم يتيماً  
\* \* \*

بعد ان ربي «محمد» (ص) في بني سعد عند السيدة حليلة جيه  
به الى أمه فذهبت به وهو ممتلئ قوة وهو ابن ست سنين الى المدينة  
لتزيره اخواله من بني عدي بن النجار وفي عودتها الى مكة توفيت في مكان  
يسمى الأواء. وكان عبد المطلب شديد العناية بحبيبه وتوسم فيه خلوص  
الشأن فلما بلغ الثامنة من عمره ودّعه، فمراقاه ذم الدار وأودعه في الجنب  
الآلهي الذي من لدنه وارادات البركات والبركات التي من لدنه

«اربعي أي اربعي واقصري

( المآزج ٦ م ١١ ) كفاية أبي طالب للنبي « ص » ٤٧٧

وقام مقامه ابنه أبو طالب شقيق عبد الله أبي النبي ( ص ) فأدخله  
في آل بيته وتمهّد تربيته وتثقيفه

وكان أبو طالب امراً نبياً شهماً صادق المروءة، ماضي العزيمة، نصيراً  
للعادل والانصاف . عرفنا كل ذلك فيه من تكليفه نفسه أقصى ما يمكن  
أن تكلف النفس في حماية ابن أخيه لما قام بالدعوة ومن مواقفه أمام قريش  
في نصره والدودعته . وقد خلف أبو طالب أباه عبد المطلب في المقام السامي  
بين قومه فكان ابن عبد الله يتنقل في بروج العز والسودد والسعادة في آفاق  
الشرف الهاشمي، وتنطبع في جوهره الكريم صور البر والعدل والإحسان  
على مثال الخلال الشريفة التي كان يتجلى بها ذلك الرجل السامي التريّة (أبو طالب)  
نحن قد رأينا من آثار العناية الأزلية بذلك اليتيم العزيز ما يصح  
القول معها أنه كان مستغنياً عن تربية أحد ولكن لماذا لا نقول أن إعداد  
ذلك المفاضل لتربيته في الصغر كان من جملة آثار العناية الفائقة به

أما تربيته إياه التريّة الجسدية فقد كانت على غاية ما يتصور علماء  
الصحة ولذلك جاء من آثارها قوة جسدية لهذا المبارك لا نظير لها وصار  
على صورة من الجمال كانت تجمل الذين يرونه يقولون لم نر مثله . ولا يتم  
الجمال إلا بصحة البدن وهي إنما تم بحسن التريّة الجسدية

وأما تربيته إياه التريّة العقلية فكانت جدية أن يسجد أمامها فلاسفة  
النفس وأساطين العقل وهناك من آثارها قبل النبوة ما يجعلنا في حيرة من  
أمر هذه القبيلة الصغيرة المبتعدة في دارها عن مناشئ الارتقاء العقلي، ومناجم  
الإشراق النكري، لا كتب يدرسونها، ولا قوانين للمعارف يرتبونها،  
ولا شيء إلا غرائز طيبة يتوارثونها، وقواعد عامة يتناقلونها، وحصافة أوتوها

٤٧٨ سفر النبي (ص) مع عمه الى الشام ( المئارج ٦ م ١١ )

في نقش أصبح التجارب في المدارك، والاحتفاظ بأثبت الفوائد في الدواكر، وكذلك يفعلون في التربية الاخلاقية ينشئون القرية على دروس المشاهدة في مدارج العمل، ودروس القصد والاعتدال في معارج الأمل، فيأتي من تلك السلائ التي لم تلحقها عدوى الاجيال الفاسدة نوابغ في العقول والاخلاق، أفذاذ في المهمة والاعمال، بطعم من المربين، ونقش من المثقفين، وذلك كان شأن أبي طالب ودأبه مع ابن أخيه العزيز، وربيته النجيب، نشأ « محمد » (صلوات الله عليه) في أمثل التربية بأنواعها كلها على يد ذلك الفاضل العظيم جاء منه رجل أحسن الناس خلقاً وخلقاً، أذكاهم عقلاً، وأزكاهم نفساً، وأصدقهم لساناً، أنداهم في العرف يداً، وأثبتهم في الأزم قلباً، أرحمهم للضعيف، وأشجعهم على القوي، أبرهم للقريب، وأعد لهم للبعيد، أقربهم الى المعروف سماء، وأبعدهم في الأمور نظراً، أسداهم رأياً، وأشداهم اقداً، ألينهم للصاحب جانباً، وأكرمهم للخير صاحباً، وحسبك انه عرف منذ صباه بالأمين وما زال على هذا المنوال حتى أكرمه الله بذلك المنصب العظيم فزاده جمالا وجلالا وكالا والله أعلم حيث يجعل رسالته

نشأ ذلك المربي على كل ما يزين الرجال من الاعمال فلما كان ابن اثنتي عشرة سنة سار به الى الشام وكان أبو طالب تاجراً فأوقفه في هذا السفر على ما تسكن الارض وتعلمن من طبائع الاقاليم المتغيرة، وأحوال العالم المتحولة، فني طريقهم من مكة الى الشام منازل أمم كانت فباتوا كانوا على وجه الارض جمالاً لها فلما فسقوا عن السنن التي تحياها الامم شالت نعماتهم طراً، وطارت نعمتهم جميعاً، وأصبحوا كأن لم يكونوا « فلك مساكينهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا، وفي رؤية أمثال هذه المنازل الخاوية



## (المنارج ١١ م) سفر النبي (ص) مع عمه الى الشام ٤٧٩

أو المنقلة الى غير أهلها عبرة عظيمة هي أجل ما في السفر من الفوائد. ولقد كان فيما أوحى الى هذا المنعم عليه بمدان صار نبيا قوله سبحانه «أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»

وفي طريقهم هذه أوقفه عمه على قرى الشام ودساكرها، ومزارعها ومصانعها، ومتاجرها وحكومتها، وأراه كيف يكدر الناس جيما لياكل ثمر منهم خبزهم بعرق جبينه، وليتمتع ثمر آخرون بثمرات تلك الارض الطيبة، ونفائس ما تممله تلك الايدي الثقفة، وكيف يعمل هذا لهذا في الاجتماع ليم قوامه، ويحفظ نظامه

ومر به على الاديار والصوامع حيث ينقطع ثمر آخرون عن المراحة في هذا الخطام الزائل، متوجهة نفوسهم الى الوطن الذي يليق بالروح الغريبة في هذا الهيكل الجسماني، غير ممدودة أيديهم الى شيء من هذه الارض الا الى ما يقي البدن من جوع وعري وذلك يتيسر ببعض حبوبها وأعشابها، وبمض أصواف حيوانها وأوبارها

في بعض تلك الاديار في «بصري» وقف به على الراهب «بحيرا» وكان على حظ عظيم من علم الفراسة أو الكهانة فأنبأه بما سيكون لابن أخيه من الشأن العظيم وأوصاه بمزيد العناية به

وفي هذه السفرة مر به على أساليب التجارة، وأطلعه على ضروب البضاعة، وصنوف الاداة والماعون التي يتعاطى التجار تبادلها وكيف يحمل كل منهم من بلده ما لا يكون في غيره ثم يحمل الى بلده ما ليس فيه وكيف

٤٨٥ روبة النى حرب الفجار و بدأ عمله لخديجة ( المنار ج ٦ م ١١ )

يكوز لهؤلاء الوسطاء في ثقل حاج الناس من الفضل العظيم في ترقية  
البدائع الانسانية ما ليس لغيرهم

فناهيك بما ملأ به أبو طالب ذهنه في هذه السياحة التجارية من  
صنوف المعارف وأنواع التجارب وفي درس كهذا من فوائد التربية العملية  
ما ليس في ألف درس من التربية الكتابية أو النظرية

ولما كان ابن أربع عشرة سنة أحضره معه في حرب الفجار وهي  
حرب هاجت بين قريش وبين قيس فرأى في هذه الواقعة كيف تعباً  
الصفوف، وتقابل الأبطال، وكيف يصبر الشجعان وإن أودى بهم الصبر  
إلى حتفهم، وكيف تكون نتائج الصبر وحسن التدبير في الحروب، وكيف  
عاقبة الذين تنقطع قلوبهم جبناً، وتخور عزائمهم جزعاً

ولم يباشر في هذه الحرب قتالاً وإنما كان ينبل على أعمامه أي يناولهم  
النبل أو يرد عنهم النبل . وكان ذلك كافياً لتمرنه على مواطن النزال، ومواقف  
النضال، وليس يخاف أن الأخذ بيد الناشئ إلى مماركة أبطال المبايعات،  
ثم مماركة أبطال المقاتلات والمقاتلات، هو أعظم الوسائل التي تجعله أهلاً  
للمقامات الملى بين الرجال، حتى إذا أتاه الله للاخذ به قوم إلى سوح المز  
والسؤدد والصلاح والفلاح، كان نعم الدليل الهادي، ونعم السائق والهادي  
فلما بلغ خمساً وعشرين سنة عرضت عليه سيدتنا « خديجة » أن يخرج  
في تجارة لها إلى الشام وتمطيه أفضل ما كانت تمطي غيره من التجار وأشار  
عليه عمه بقبول ذلك وطلب له أضافاً فرضيت وسار بتجارتهما مع الركب  
إلى الشام ومعه عبد لخديجة اسمه « ميسرة » فلما رجع بالبضائع إليها باعها  
فربحت أضافاً وكان هذا بدء تاريخ جديد للسيدة « خديجة » معه

﴿المجلد الحادي عشر﴾

٤٨١

﴿الجزء السابع﴾

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي  
خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الابواب

المعراج  
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الابواب

﴿قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿مصر - الخميس ٣٠ رجب ١٣٢٦ - ٢٧ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٨﴾



٥٠٤ الرابطة عند النقشبندية وطاعة المريد لشيخه ( المارح ٧م ١١ )

## فَتَاوَى الْمُبَانِي

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بمد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ورمقاد من امتا خرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أحيانا غير مشترك لثقل هذا. ولن نفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

### ﴿ الرابطة عند النقشبندية وطاعة المريد لشيخه ﴾

(س ١٠) من ع . س . ط . في سنغافورة

حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » المير بمصر  
قد كثرت الضوضاء والأخذ والرد في هذه الايام بين مجلة « الامام » بسنغافورة  
ومن يثق بها وبين من يسمون أنفسهم أهل الطريقة وأرباب السلوك وذلك بسبب  
السؤال الآتي والجواب عنه والمجادلات فيه ولأن المنار هنا له اعتبار عند أولي  
الابصار أحيانا ان يكون الحكم في هذه القضية لكي تقطع جبهة صوت كل  
خطيب حيث قد امتلأت الاسماع تقيقا وأعمدة الجرائد سودا والقلوب شها فؤمل  
بسط الجواب وبيان الحق بأدائه ودحض الشبه الباطلة ولا بد ان تكونوا قد كتبتهم  
سابقا في هذا الصدد فترجوا ان لا نحيلونا على ما ليس بأيدينا أثا بكم الله .

أما السؤال المثير للجدال فهو: ما قولكم في الرابطة التي يلزم بها مشايخ الطريقة  
النقشبندية المريدين ومعناها انه لا يصح منهم ذكر الله إلا بعد احضار صورة  
الشيخ في قلب المريد ثم يشرع في الذكر مع حضورها ويتركه اذا غفل عنها  
لانه حينئذ باطل لتمكن الشيطان من المريد نخلو قلبه من صورة الشيخ وان قوله  
تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ) دليل ثم وقوله تعالى ( وابتغوا  
اليه الوسيلة ) أمر بها أي مع التفسير المذكور الى نحو ذلك وجاء في سؤال آخر الى  
مجلة الامام ان من حق الشيخ ان يمنع المريد عن اجابة أبيه وأمه المسلمين إذ

## (المنار ج ٧ م ١١) الرابطة عند النقشبندية وطاعة المريد لشيخه ٥٥٥

نادياه ولو كان في التزع وكذا منع الزوجة عن زوجها والعكس وقد وقع ذلك هنا ومات المريض حزينا . ويقولون ان الشيخ يربي التلميذ بذلك ومن السؤال أيضاً قولهم يجب على التلميذ متابعة شيخه بدون سؤال أو تردد ولا يجوز له ان يعترض على شيخه ولو رآه على فاحشة لانه كالنبي المرسل بالنسبة اليه ولا ينكر عليه ولا قبله وان عقوبة الانكار حينئذ الحرمان واوجبوا على المريد ان يعتقد انه لا يمكن ان يصل اليه مدد ولا خير من ربه الا بواسطة الشيخ لانه الوسيلة له . وللشيخ محلات للسلوك والتفنين يحشر اليها جملة من الرجال الشبان والنساء الشواب يجتمعون بها من غير محرمية بل جلهم جهال بالواجبات العينية وان الذكر وحده كاف للوصول والقرب من الله ولو ترك اكثر الفروض العينية . وقد اجابهم مجلة الامام بالمنع في الجميع وان تلك المبادي مما تبع ضلال الامة فيها من قبلهم من الامم وان بعضها فيه ميل الى جانب الشرك وقد نقل الامام ما قاله المفسرون في الرباط الشرعي والوسيلة الشرعية وجزم بان عبادة الله لا تجوز بغير ما شرعه الله وان من زاد فيها كمن نقص منها مبتدع مردود عليه قوله وان الرابطة بالمعنى المذكور في السؤال لم يعلمها النبي احدا من اصحابه ولا علمها الصحابة احدا من التابعين وان تطهير القلوب من الصور والتماثيل ليس باولى من تطهير محلات العبادة منها . وانه يحرم متابعة الشيخ فيما نهى الله عنه ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومن شرع للعباد ما لم يأذن به الله فهو ضال مضل وان اعظم مرشد واعلم طيب ديني هو نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وقد اكمل الله به الدين فلا دواء ديني نافع الا وقد بينه لنا ومن لم تشف أمراض قلبه ادوية القرآن لا شفى الله مرضه ، وان النبي ارشدنا الى دواء الوسواس وهو ذكر الله ليخنس الشيطان فمن لم يخنس شيطان وسواسه بذكر الله فهو الكاذب ومستحيل ان يخنس لحضور صورة شيطان مثله في قلب موسوس متهوس وما في السؤال من الآداب هو ضد الادب في الاسلام ولم يؤدبنا به النبي ولم يعمل به الصحابة فعلى طالب الحق أن يلزم هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ويجتنب البدع الى نحو ذلك .

## ٥٠٦ الرابطة النقشبندية وطاعة المريد لشيخه ( المنارج ٧ م ١١ )

واعترض اهل الطريقة بزعمهم ان الجنيد والجيلاني واضرابهما اوجدوا الرابطة بمعناها المشروح اعلاه والزام المريد بما ذكر من الشروط وان لا يمنع المريد الشيخ اي شيء اراده من نفسه او ماله سواء كان ذكرا ام انثى وان الامام واصحابه خرجوا عن الدين ومرقوا منه باينكارهم الى نحو ذلك

وانا نسأل من المنار المنير ابداء ما يراه الصواب في هذا الموضوع مع البيان الشافي فانا الى ذلك محتاجون نعد الايام والساعات والله المسئول ان يديمكم نفعا للعباد وشجى في حلق اهل البدع والالحاد آمين  
ع . س . ط

( س ١١ ) من س . س . في ( كوالا لمغور ) في جنوب ميلاي .

سيدي . تصدر في سنغافوره مجلة علمية مليّة بلغة الملايو اسمها ( الامام ) يكتب فيها بعض رجال الاصلاح ومحرمها رجل وطني اسمه عباس بن محمد طه وهو من خيرة شبان هذه البلاد علما وعملا اشتهر اخيرا بمحاربة البدع والخرافات التي ألصقت بالدين . وفي المجلة باب للفتوي وقد سئل منذ اشهر عن الرابطة المعروفة عند اهل الطريقة النقشبندية وهي احضار المريد صورة الشيخ في القلب عند الذكر وبربطه من جملة الارادة التامة واستفادة علم الواقعات حتى يفني تصرفه في تصرف الشيخ اخذا من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » . وقوله « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . وقوله « يا أيها الذين اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » . فأفتى الامام بان الأمرين بفعل هذه الرابطة والعاملين بها ليس لهم مستند من الكتاب او السنة . وان الآيات التي جعلوها سنداً لهم لا تدل على مرادهم البتة . ثم اورد اقوال المفسرين كالخازن والجلالين في الآيات المذكورة . الخ ما جاء في الجواب - ثم قال - اذا فاحضار المريد صورة الشيخ في قلبه عند الذكر هو إشراك بالله . وهذا ما جاء الاسلام لمحوه . او ما معناه . ثم أمحى على اهل الطرق الآن ونسب كثيرا منهم للدجل والتضليل . واورد لنفي الرابطة آيتين آية . « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » . وآية « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » . اه بالمعنى



## (المنار ج ١١ م ٧) سبب المذاهب والطرق والتعصب لها ٥٠٧

فلما نشرت هذه الفتوى وهاته التصريحات التي لم يهد لأحد من قبل هذا الشاب التصريح بها قامت قيامة شيوخ الطرق في هذه المستعمرة ونسبوا للإمام ومحرمه تضليل عباد الله الصالحين واهموا العامة ان الامام يسعى في هدم المعتقدات وهم الى الآن يحرضون العامة بهجر الامام وعدم الاطلاع فيه . اما الحقير وكثير من متخرجي المدارس الأميرية فبقينا متوقفين حتى يأتينا من عند الاستاذ بيان شاف في هذه المسئلة التي نعلم ويعلم الكثير ان لكم التمدح المعلى في حلها والله يقيم لنا .

\*\*\*

(ج) لو قلت إني من أجدر الناس وأحقهم ببيان الحق في هذه المسئلة لرجوت ان اكون صادقاً ، واذا بينت السبب في ذلك رجوت أن يدعن له كل عاقل منصف ذلك بأنني قد ساكت الطريقة النقشبندية وعرفت الخفي والاخفي من لطائفها وأسرارها، وخضعت بحجرات التصوف ورأيت ما استقر في باطنه من الدرر، وما تهذف أمواجه من الجيف، ثم انتهيت في الدين ، الى مذهب السلف الصالحين ، وعلمت ان كل ما خالفه فهو ضلال مبین ، وأهدد للفصل في المسئلة تمهيدا يقرب المراد من طالب الحق فأقول قد عرفنا من طباع البشر واخلاقهم ان يألفوا ما أخذوه بالرضا والتسليم ويأنسوا به فاذا وجدوا لهم مخالفا فيه تعصبوا له ووجهوا قواهم الى استنباط ما يؤيده ويثبت به ويدفع عنه هجمات المخالفين لهم فيه لا يلتفتون في ذلك الى محري الحق واستبانة الصواب فيما تازعوا فيه . ولولا فشو هذا الخلق في الناس لما بقيت الاديان والمذاهب والأحزاب والشيعة والحق في كل منها واحد لا تعدد فيه ثم إن من اخلاق البشر أيضا ان لا يجتمعوا على شيء الا اذا اعتقدوا ان فيه خيرا لهم وقد يكون هذا الاعتقاد لبعضهم عن نظر واستدلال او تجربة واختبار وللبعض الآخر عن اتباع وتقليد لمن اعتقدوا فيهم الفضل والكمال

على هاتين القاعدتين بني التعصب للمذاهب والطرق في جميع المال وعليه يتخرج أخذ كثير من اهل الصلاح والتقوى والعلم والعمل بالرابطة في الطريقة النقشبندية وبغيرها من البدع التي لم تكن على عهد السلف في ذيرها من الطرق وبكثير من القواعد والمسائل في مذاهب الفقهاء والمتكلمين الذين جاؤا بما لم يكن عليه السلف الصالح

يذهب الرجل المشهور بالصالح أو العالم إلى شيء يظهر له بحسب اجتهاده انه حق أو خير فيتبعه آخرون عن استحسان لما استحسنه ومعرفة بدليله أو عن محض التقليد فاذا خالفهم غيرهم فيه عدوهم متقصين لهم تعصبا لما هم عليه فيقوى الخلاف ولا يزاون مختلفين إلا من رحم ربك وعم الذين يحكمون الدليل ويتحرون به استبانة الحق فاذا ظهر لهم ولو على يد الخصم ولسانه أتوا اليه مدعين، وقبلوه راضين مطمئنين اذا تدبرت هذا فاعلم أن أئمة الصوفية وكبراءهم ما وضعوا هذه القواعد من الرابطة وطاعة الشيخ المسالك طاعة عمياء مطلقة حتى من قيود العقل والشرع عند الغالين وغير ذلك من الاصول والقواعد الا عن علم وتجربة واختبار وصلوا بها الى مرتبة اليقين بان ذلك مفيد لهم وموصل الى الغاية التي يقصدونها بطريقتهم . واعني بالعلم هنا علم النفس من حيث ادراكها وشعورها ووجدانها وصفاتها واخلاقها . وقد كان مثلهم في ذلك كمثل علماء الكلام الذين بحثوا في الموجودات وبنوا علمهم الالهي عليها وكل منهما اذا وجد في علمه ما يخالف ظواهر الشرع لجأ الى التطبيق بالتأويل والتماس ما يؤيده من القرآن العزيز والحديث الشريف وقد يتحمل لذلك ويتكلف اذا اعترض عليه . كذلك فعل المتكلمون الذين زعموا ان الافلاک التسعة في الهيئة اليونانية هي السموات والكروني والعرش وكذلك فعل بعض اهل الطريق فيما ذكر في السؤال وما لم يذكر فيه من تأويل الآيات التي زعموا أنها تدل على مشروعية ما يسمونه الرابطة والتوجه ولا دليل في شيء منها على ذلك .

لو كان في الشرع دليل على ان ذلك مطلوب في الدين لما خفي عن الصحابة والتابعين بل لأمر به النبي صلى الله عليه وسلم وعمل به وتواتر عنه لانه لما يتعلق بمجهر الدين وهو عبادة الله ومعرفة فلا يقاس على ما يمكن ان يستنبط من القرآن من اسرار الكون التي لم تؤثر عن الصدر الأول

قال السيد الآكوسي القشبي في باب الاشارة من تفسير سورة الجمعة : « وذكر بعضهم ان قواه تعالى « ويزكيهم » بعد قواه سبحانه « يتلو عليهم آياته » اشارة الى الاقضية العقلية بعد الاشارة الى الاقضية العقلية المسانية ، وقال بخصوصه للاولياء المرشدين فيكون مريدهم باقضية الانوار على قلوبهم حتى تخلص قلوبهم

وتزكو نفوسهم ، وهو سر ما يقال له التوحيد عند السادة التشيكية ، وقالوا بالرابطة ليتبها ببركتها القلب لما يفاض عليه ، ولا اعلم لثبوت ذلك دليلاً يعول عليه عن الشارع الاعظم ، صلى الله عليه وسلم ، ولا عن خلفائه رضي الله عنهم ، وكل ما يذكرونه في هذه المسألة ويعدونه دليلاً لا يخلو من قاذح بل أكثر تمسكاتهم فيها تشبه التمسك بجبال القمر ، ولولا خوف الاضطراب لذكرتها مع ما فيها . ومع هذا لا أنكر بركة كل من الأمرين - التوجه والرابطة - وقد شاهدت ذلك من فضل الله عز وجل . وأيضاً لا أدعي الجزم بعدم دليل في نفس الأمر وفوق كل ذي علم عليم ، ولعل أول من أرشد اليها من السادة وجد فيها ما يعول عليه ، أو يقال يكفي للعمل بمثل ذلك نحو ما تمسك به بعض أجلة متأخريهم ، وإن كان للبحث فيه مجال ، ولأرباب القال في أمره مقال ، اهـ

فأنت ترى هذا العالم الجليل الواسع الاطلاع الواقف على ما قال أنصار هذه الطريقة في الاستدلال على الرابطة والتوجه لم يعثر لها على دليل ، ولم يرضه شيء مما قيل ، ولكنه قد راعته مكانة من جرى على ذلك من الصالحين ، وأرضاه ما وجد لها من الأثر في قلبه وكذلك كان هذا العاجز عدة سنين ، فأتي قد وجدت أثر الرابطة والتوجه في نفسي: رأيت ما لم يراه معي الناظرون، وسمعت ما لم يسمعه مثلي المصفون ، وشممت ما لم يكن يشم الحاضرون ، ولا أحب شرح ذلك في المنار ولا الخوض في علله وأسبابه، ما ذكرت هذه الإشارة الا ليعلم السالكون لهذه الطريقة بالفعل اني لست منها كما يقال في المثل « من جهل شيئاً عاداه » وإنما اتكلم فيها عن عرفان ، وأحكم فيها بسلطان ،

أقول ان التوجه والرابطة ليسا من الدين في شيء ، ولا يجوز ان يعدا من العبادة المشروعة في الاسلام ، ولكن لا أقول بكفر كل من عمل أو يعمل بهما ، وإنما أخشى ان يكون بعض المتقلدين لهذه الطريقة تقلداً من غير علم بالشرع ، وعرفان بحقيقة النفس ، أقرب الى الوثنية منهم الى التوحيد ، فيما يكون بين الشيخ والمريد ، بل أجزم بأن من ذلك ما هو شرك جلي أو خفي ، وإن كنت لا أجيز رمي شخص معين به ، يمكن للمريد العارف بمقيدة الاسلام ان يجمع بين التوحيد وبين تحيل شيخه



## ٥١٠ الاستمداد من الأرواح والتوجه عند البراهمة (المنازع ١١٧)

عند ذكر الله عز وجل بأن يتخيل أنه جالس في حضرة يراقب أدبه وحضور قلبه في ذكره، كما يذكر الله أو يقرأ القرآن أو العلم بحضرة، وهو يعتقد أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يقصد قبل العمل، وإنما يُصمد في ذلك إلى الله تعالى وحده. فمثل هذا لا يهد مشركاً لشيخه مع ربه، وهو لا يشغله تخيله لشيخه عن ذكره، إذ لا يستصحب الصورة المتخيلة عند تصور معنى كلمة التوحيد، وذلك سهل على مريده كما يقرأ القرآن أو غيره من كتب الفنون أمام شيخه ولا يشغله وجوده عن فهم ما يقرأ. ومع هذا لا يجوز له أن يحكم بأن هذا الأمر مطلوب في الشرع بل يكفي بأن ينتفع بما جرت به من غير مخالفة لنص من نصوص الشرع

وأما استمداد الهمة من أرواح الشيوخ فقد ضل فيه كثيرون كضلال الذين يعتقدون أن لشيخهم سلطة غيبية يتصرفون بها في النفوس والآفاق وأنهم بذلك وسطاء بين الله وخلقه يقرّبونهم إليه زلفى إذا أرادوا كما كانت تقول الجاهلية في آلهتها. على أن المسألة أصلاً يعد من مباحث علم النفس لا من الدين هو منشأ ضلال المفتونين عن تجربة ووجدان يظن الجاهل منهم أنه من الحقيقة المخالفة للشرعية، ويعلم العارف المحقق أنه لا خلاف في الفعل، ولا منشأ للضلال إلا الجهل

قد جرب أهل الطريقة أن يتوجهوا بهمتهم وأرادتهم إلى بعض شيوخهم الصالحين أو إلى بعض الصحابة أو النبيين قاصدين أن تتصل أرواحهم بأرواحهم وتستمد منها قوة ما فيجدوا لذلك في نفوسهم أثراً حقيقياً لا يمكن لأحد أن يكابرهم فيه كما لا يكابر أحد ولا يشكك في شعوره بالفرح والسرور أو الغم والحزن. فإذا قيل لمن جرب ذلك من الجاهلين بالشرعية أنه مخالف لها فإنه يشك في حقيقة الشرعية ولا يشك فيما هو فيه إلا أن يجمع له بينهما. ومثل ذلك قالوا إن سالك الطريق عرضة للزيف والكفر إذا لم يكن له شيخ من العارفين الجامعين بين علم النفس وعلم الشرع فيبين له في مثل هذه المسألة أن هذا الأثر الذي يراه في نفسه من اتوجه هو أثر طبيعي له ليس من الخوارق ولا من السلطة الغيبية التي لا تكون إلا لله وحده وإذا رآه مرتقياً في سلوكه يبين له أن براهمة الهند يعرفون التوجه والرابطة ويؤثر عنهم كثير من الخوارق الصورية والمادية التي لا تخرج عن السنن النفسية والخواص

## (المنار ٧ م ١١) العلم والعمل النافع يكون بحسن النية عباده ٥١١

الروحانية ، ولكنهم في توجههم ورابطتهم دون السادة الصوفية ، لأن الرابطة والتوجه عندهم من المقاصد التي يقفون عندها ، ويرضون من رياضتهم بثمرتها وأثرها ، وهما عند الصوفية من الوسائل التي يعرفون بها نفوسهم ، ويخرجون منها الى ان يصلوا الى معرفة ربهم ، فالاشتغال بها كاشتغال العالم الطبيعي بمعرفة خواص الماء والبخار والكهرباء والضوء فان كان يقصد بذلك معرفة هذه الاشياء لذاتها مما يتنفع به في هذه الحياة المادية كان مثله كمثل البرهي في التوجه والرابطة لا يزيد عن كونه عالما ماديا ، وان كان يقصد بها مع ذلك معرفة الله بمعرفة حكمه واسراره في خلقه كان مثله كمثل الصوفي في التوجه والرابطة وصار عالما ربانيا ، فالأمور بالمقاصد والارادات ، كما ينذلك في تفسير ما في صدر هذا الجزء من الآيات ، اذا عرفت هذا وهو ما عليه محققو المارفين من الصوفية تين لك ان مسألة التوجه والرابطة من المسائل التي تعد من وسائل علم النفس وليست بمجد ذاتها من الدين فيستدل عليها بالآيات والاحاديث ، وان علم النفس كعلم الآفاق قد يكون بالارادة طريقا لمعرفة الله تعالى وبالقصد والنية عبادة له كما تكون جميع العلوم الدنيوية كذلك . والاصل في ذلك عند الصوفية قوله عز وجل ( ٤١ : ٥٣ ) سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد ٥٤ الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شي محيط ) ولما كان محيطا بكل شي كانت معرفة غاية كل شي موصلة اليه اذا قصد بها ذلك . ولذلك قالوا ان لله طرائق ، بعد انفس الخلائق ،

وهنا ثلاث مسائل لا بد من التصريح بها وايضاها ايضاها لاليس فيه . ( احداها ) ان كل علم حقيقي يمكن ان يكون عبادة محمودة في الاسلام اذا حسنت فيه النية وأريد به معرفة الله ومعرفة سننه وحكمه في خلقه وكذلك كل عمل نافع يراد به دفع الاذى عن عباد الله وايصال الخير اليهم . ولكن العبادة في ذلك قلية لا صورية فلا يقال ان علم الضوء والكهرباء وعمل الادوية وصنع الآلات مما يكون مع حسن النية من العبادات المشروعة في ذاتها التي تلتبس لها الدلائل من الكتاب والسنة . ومثلها في ذلك التوجه والرابطة في الطريقة

(المسألة الثانية) إن العبادة المشروعة لذاتها التي يطالب المسلمون بها هي ما نطق به القرآن الكريم أو مضت به السنة النبوية وجرى عليه جمهور السلف وما عدا ذلك فهو بدعة والبدعة في الدين لا تكون الا ضلالة كما ورد في الحديث واما البدعة التي تعتبرها الاحكام . ويقال ان منها ما هو حلال وما هو حرام ، فهي البدعة في أمور الدنيا علومها وأعمالها كما يدل عليه حديث مسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها » الخ (المسألة الثالثة) ان جميع ما يتدعه الناس من وسائل النفع والخير في العلم والتربية والأعمال يشترط في جوازه ان لا يكون مخالفا لما هو مقطوع به من أمور الدين . فإذا فرضنا ان التوجه والرابطة ينفيان ما هو مقطوع به في الاسلام فانه لا يحل للمسلم العمل بهما . وقد علمت انهما يختلفان باختلاف العالم العارف والجاهل المقلد ومن هذه المسألة أنتقل بك الى القسم الثاني من الاستفتاء وهو ما يفرضون من طاعة المريد لشيخه ولو في المعصية ، وعدم انكاره عليه وان فعل المنكر واعتقاد انه لا يقبل له عمل ولا يصل اليه خبر الا بواسطة ، ومثل هذا مما لا يحتاج فيه الى سؤال ولا جواب فان وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صريح في القرآن والأحاديث ومضت به السنة فهو معلوم من الدين بالضرورة بحكم الفقهاء برودة منكره ولم يستثن الله ولا رسوله مشايخ الطريق من هذا الحكم بل كان الصحابة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور ينكرونها في أعمال الدين كالسهو في الصلاة أو أعمال الدنيا كالخرب وتديبرها حتى يفسرها لهم ويفرق بين ما هو عن رحي وما هو عن سهو أو اجتهاد غيره أفضل منه . والصوفية المحققون لا يشترطون على المريد الا حسن الظن بشيخه والادب في سؤاله وما عدا ذلك فهو من غلو متعدين ، أو من سائس الشائخين : ولا يقولون ان عبادته لا تقبل ولا يصل اليه خبر من غير الا بواسطة شيخه من يقولون انه لا يصل الى المقصد من سلوكه الا بمرقة شيخه . وهذا صحيح في الغالب

ومما يجب ان يعلم به على محض « الامام » من « ان الجنيد والجيلاني وأضرابهما من كبار الصوفية لم يسمي الجنيدان عند كل أحد يعرف ما هو الاسلام اذ من



## (المنار ٧ م ١١) الأولياء غير معصومين ولا يتبعون في خطأهم ٥١٣

الله يأذن الله وهذا الغلو في إجلال المشهورين هو سبب التقليد منشأ فساد كل دين  
وإذا كانت المسألة بديهية عند كل من يعرف الاسلام ، فهي من أعظم  
المشكلات عند جهلة العوام ، لأن الكثيرين منهم لا يعرفون من الاسلام شيئاً  
سلطان على نفوسهم الا ما يسمعون عن الرجال الصالحين ولا علاج لهؤلاء الا تعليمهم  
ما هو الاسلام مع الحكمة التي يجمع فيها بين بيان الحق وبين الادب عند ذكر  
أهل العلم والتقوى وبيان انهم غير معصومين من الخطأ وأن كثيراً مما ينقل عنهم  
لا تصح نسبته اليهم ، وأن افضل ما يكرمون به هو عدم الثقة بما ينقل عنهم اذا كان  
مخالفاً للشرع ، لا مخالفة الشرع اذا ادعى بعض الناس انهم خالفوه ، فان ذلك تقديم  
لهم على الله ورسوله ، ثم تحسين الظن ببيتهم وقصدهم فيما اخطأ اجتهدوا فيه وان  
المجتهد المخطئ منهم يؤجر على اجتهاده ولكن لا يتابع عليه ،

واتي اذكر شاهداً واحداً من خطأ أئمة الصوفية والعلماء في اجتهدوا المتعلق  
بالتصوف وهو خطأ الإمام الغزالي — الذي صرح غير مرة بأن كتابه الاحياء كان  
استاذي الاول الذي حجب الي العلم والتصوف — ليقاس عليه خطأ من لا يشق له غباراً  
من الشيوخ الصالحين المشهورين ومنه يعلم ان كل اجتهد خالف الكتاب والسنة  
فليس من الدين

كان الغزالي في سياحاته ايام تصوفه يزور المشاهد وقال ان قبور الانبياء والصالحين  
تزار للاعتبار بتذكر الموت والآخرة والتبرك ، فزاد على ما ورد في حديث الإذن  
بزيارة القبور ما سماه التبرك . ويعني به ما يجده الزائر السالك لطريق الآخرة عند  
زيارة المشاهد من الخشوع والحال التي تزيده رغبة في الآخرة واعراضاً عن  
الدنيا . واستدل على مشروعية هذا ونحوه مما لم يرد في الشرع كالأربطة التي نحن  
بصدد البحث فيها بمحدث « من بورك له في شيء فليلزمه » كأنه يقول اننا وجدنا  
لذلك فائدة في نفوسنا زادت في خشوعنا ووجد ان الدين في قلوبنا وذلك هو  
البركة لان معناها الزيادة وقد امرنا الشارع بلزوم كل شيء نرى فيه بركة لنا فنحن  
عاملون بأمره في ذلك

## ٥١٤ خطأ الغزالي في استدلاله على زيارة المشاهد (المنارج ١١٧)

الخطأ في هذا من وجهين (أحدهما) ان الكلية ممنوعة فأننا لو جعلنا للانبياء والصالحين صوراً وتماثيل تمثل لناظرها هياتهم في الخشوع والوقار لكان لها في نفوس الناظرين اليها من التأثير ما ليس لرؤية قبورهم المشيدة المشرفة كما نرى ذلك عند غيرنا من الملل وهذا التأثير هو السبب في اتخاذ النصارى للصور والتماثيل في كنائسهم والغزالي لا يميز هذا في الاسلام ومثله بناء المشاهد للصالحين وتشريف قبورهم واتخاذ المساجد عليها نهي عنه كما نهي عن الصور والتماثيل فثبت انه لا يجوز لنا ان نحدث في الدين ما ليس منه وان كان إحداثه لغرض صحيح وقصد حسن بل تتبع فيه ما جاء به الكتاب والسنة وجرى عليه سلف الامة ونجمل اجتهادنا في اختيار النافع لنا محصوراً فيما فوض اليها من الاستقلال بأمور دنيانا .

(والوجه الثاني) ان الحديث الذي أورده يدل على ما ذكرناه من التخصيص بأمم الدنيا دون ما استدل به عليه من جعله في أمم الدين . إنه أورد الحديث باللفظ الذي اشتهر به على الالسنه ولم يروه به أحد . وما ذكره السيوطي في الدرر المنتثرة من عزوه الى ابن ماجه بعد ايراده بهذا اللفظ غير مراد ظاهره وانما مراده ان ابن ماجه رواه بالمعنى وقد ذكر نص رواية ابن ماجه في الجامع الصغير وهو « من أصاب من شيء فليزمه » وقال انه رواه عن أنس وعائشة . أقول وقد أخرجه ابن ماجه في أبواب التجارة والكسب من حديث أنس بهذا اللفظ الذي ذكره في الجامع الصغير ومن حديث عائشة بلفظ آخر وهو « عن نافع قال كنت أجهز الى الشام والى مصر فجهزت الى العراق فأثيت عائشة أم المؤمنين فقلت لها يا أم المؤمنين كنت أجهز الى الشام فجهزت الى العراق فقالت لا تفعل مالك ولتجرك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سبب الله لاحدكم رزقاً من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له » تقول له مالك ولتجرك القديم الذي تعودت الرج منه حتى تركه وتقدم على ما تجبئه ؟ الزم مارأيت الرج فيه . ومعلوم ان الاوامر والنواهي المتعلقة بأمم الدنيا كهذا الامر لا يمد من التكليف الديني الذي يجب امتثاله شرعاً وانما يسميه علماء الاصول أمر إرشاد يعتبر به ويعرض على المصلحة

ولا يقال إن حديث أنس عام لان عمومته في بابه على انه روي بلفظ « من

## (المناج ٧م ١١) الرابطة عند النقشبندية وطاعة المريد لشيخه ٥١٥

أصاب مالا من شيء، كما هو ظاهر حاشية ابن ماجه، ولأن هناك دليلا يمنع جريانه في أمر الدين وهو ما ذكرناه في الوجه الأول. على أن في سنده فروة أبيونس عن هلال. قال الذهبي في الميزان مختلف فيه ليس بقوي وقد ضعفه الأزدي. ولم يكن الغزالي في أيام تصوفه وزمن تأليفه إلا حياء يبحث عن علل الحديث وإنما كان يستدل ويستنبط ما يتعلق بالفضائل من كل ما يراه في الكتب حتى كتب الصوفية ولذلك وقع في الأخطاء كثير من الأحاديث المنكرة والضعيفة والموضوعة. وقد عكف على الحديث واعتصم بمذهب السلف في آخر عمره وإن اهتدى إلى حقبة مذهب السلف قبل الانقطاع إلى الحديث وإذا كنا معشر المسلمين نعتقد أن الأولياء والصوفية غير معصومين من الخطأ وكنا نشاهد الخطأ الصريح في كتبهم ونراهم يخالف بعضهم بعضا ويرد بعضهم على بعض فهل يصح أن نجعل أقوالهم وأعمالهم أصلا من أصول الدين وخلاصة القول أن التوجه والرابطة ليسا من عبادات الإسلام ولا دليل فيه على كونها مشروعين ومن جعلها عبادة مشروعة في ذاتها فقد دخل في عداد الذين قال الله فيهم (٤٢: ٢١) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ( وقوله في بيان أصول المحرمات (٧: ٣٣) وإن تشركوا بالله ما ينزل به سلطانا وإن تقولوا على الله (مالا تعلمون) وإن أئمة الصوفية المحققين لا يجعلونها من الدين وإنما يجعلها بعضهم من وسائل معرفة النفس فهما عندهم من قبيل الوسائل التي تتخذ الآن لما يسمونه استحضار الأرواح وفي كل منها لابد من الوساطة، وإن المقلدين في الطريقة النقشبندية وغيرها عرضة للضلال والشرك الجلي أو الخفي إذا تمسكوا بهذه الظواهر التي لا يعرفون مراد العارفين بها فيجب عليهم اتقاء ذلك وإحكام عقيدة التوحيد التي منها أن الشيوخ الأولياء بل والأنبياء لا يملكون لأنفسهم ولا للناس ضرا ولا نفعا ولا هداية ولا غيرها كما صرح به الكتاب العزيز في آيات كثيرة وأن يحسنوا الظن بمن قال بالرابطة من الصالحين وقد بينا مرادهم عن علم عروفاً وهو سر من أسرار التصوف أفشيناه للضرورة والإرشاد وإن يعتقد مع تحسين الظن بهم أنهم ليسوا حجة في الدين وأنهم لا يطاعون في معصية الله. ومن أراد أن يزداد نوراني هذه المباحث فلينظر جزء الترجمة من تاريخ الأستاذ الامام فان فيه يانا لا يجده في كتاب



## ﴿ وجه المرأة الحرة ﴾

(س ١٢) من محمد رحيم افندي الشفي في « زويله باشي » بسمبر (روسيا)  
 الفاضل الجليل والعالم النبيل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الأغر  
 دمت بالعرف والكرامة. اما بعد فقد كثرت المباحث والمناظرة في حق وجه الحرة في طرفنا  
 فبعض العلماء قالوا ليس بفرض ستر وجه الحرة لحديث عائشة رضي الله عنها أخرجه  
 أبو داود وابن مردويه والبيهقي ان اسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله  
 عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض  
 لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفه وبعضهم قالوا ان  
 ستر وجه الحرة فرض وان لم تستره تكون آئمة عند الله لقول عائشة رضي الله عنها  
 احدى عينها فحسبت لاندفاع الضرورة (كذا) أخذه القهستاني والزاهدي فالأموال  
 من سيادتكم ان يبين الحق من الأقوال لرفع النزاع من بين الناس

(ج) حديث عائشة لا تنهض به الحجة فانه مرسل وفي اسناده من تكلم  
 فيه والأصل في المسألة قوله تعالى (٢٤ : ٣١) ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها)  
 فقد روي عن ابن عباس انه قال : الظاهر منها الكحل والخدان وفي رواية عنه :  
 الزينة الظاهرة والوجه وكحل العين وخضاب الكف والظلمة . وعن سعيد ابن  
 جبير والضحاك : الوجه والكف . وعن عطاء : الكفان والوجه . وسئل الأوزاعي  
 عن قوله تعالى « الا ما ظهر منها » فقال : الكفين والوجه ذكر ذلك كله ابن  
 جرير في تفسيره وذكر أقوال من قالوا انها الثياب والحلي أو الوجه والثياب ثم قال :  
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال غني بذلك الوجه والكفان يدخل  
 في ذلك اذا كان كذلك الكحل والظلمة والسوار والخضاب . وانما قلنا ذلك أولى  
 الأقوال في ذلك بالتأويل لاجماع الجميع على ان على كل مصل ان يستر عورته في  
 صلاته وان للمرأة ان تكشف وجهها وكفيها في صلاتها وأن عليها ان تستر ما عدا  
 ذلك من بدنهما الا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباح لها ان تبديه من

## (النازج ١١م٧) نساء السلف وكشف وجوههن ٥١٧

ذراعها الى قدر النصف . فاذا كان ذلك من جميعهم إجماعاً كان معلوماً بذلك ان لما ان تبدي من بدنهما ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال لان ما لم يكن عورة فغير حرام إظهاره ، واذا كان لها إظهار ذلك كان معلوماً انه مما استثناه الله تعالى ذكره بقوله « الا ما ظهر منها » لان كل ذلك ظاهر منها . وقوله « وليضربن بخمرهن » على جيوبهن « يقول تعالى ذكره وليلقين خمرهن وهو جمع خمار على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن . اهـ كلام ابن جرير

والجيوب جمع جيب وهو فتحة القميص على الصدر وكانت المرأة تضع الخمار على رأسها وتسده الى الورا فيظهر عنقها وصدرها فأمرن بأن يجعلن طرفه على الجيب ليستر العنق والصدر . ولم يؤمرن بوضعه على الوجه فلم يقل الا ما ظهر منها لكان يصح ان يقال ان كشف الوجه باق على أصل الإباحة فكيف وقد امر بستر الجيب ولم يأمر بستر الوجه ! . ونأهيك بحكاية ابن جرير الإجماع على ذلك وهو ما كان عليه النساء في عهد السلف فقد كن يأتين المساجد ويغشين الاسواق ويسفن الجرحى في مواقع القتال ويخطبن على الرجال ويناقشن الامراء والحكام . فغلن ذلك وأمثاله مكشوفات الوجوه . ومن جال في أرض المسلمين في الاقطار المختلفة يرى ان أكثرهن يخرجن مكشوفات الوجوه ولا يستتره منهن الا بعض نساء المدن وهي عادة حكمت بها غير الرجال عند ما دخل المسلمون في الحضارة وانغمسوا في الترف الذي يستلزم الفسق والفجور ولذلك ترى أكثر الفقهاء علواً وجوب ستر المرأة وجهها عن الرجال بخوف الفتنة وابتداء هذا البحث والخلاف في القرن الثاني هل يمكن لمكابر ان يقول ان النساء كن يصلين مكشوفات الوجوه في مسجد الرسول ( ص ) في حياته ولا يراهن أحد ؟ اذا كابر أحد نفسه وقال بمحتمل ان الرجال لم يكونوا يرون النساء في المسجد لانهم يصلين وراءهم ولم يخش ان يقال له انهم كانوا يرونهم قبل الصلاة اذ كن ينتظرن الجماعة معهم بعدها عند الانصراف كما هو مأثور مشهور — فهل يسفه نفسه ويقول ان الرجال لم يكونوا يرون وجوه النساء وأيديهن في أثناء أعمال الحج من طواف وسعي ووقوف بعرفة وجولان في أرض الحرم ومعلوم لكل من يعرف احكام الحج في الاسلام ان كشف المرأة

## ٥١٨ أقوال الفقهاء في وجه المرأة ( المئارج ١١٧ )

وجها في الإحرام واجب ومن النساء من تحرم بالحج من أول أشهره فتكون أكثر من شهرين محرمة مكشوفة الوجه واليدين أينما كانت وحيثما حلت وهي مع الرجال في جميع الاعمال

ومن نظر الى كلام فقهاء القرون الوسطى الذين رجحوا تحريم النظر الى الوجه والكفين يجند انهم لم يأتوا عليه بدليل من الكتاب ولا من السنة ولا من عمل أهل الصدر الاول وانما عللوه بخوف الفتنة وسد الذريعة وقد قالوا بحرمة النظر الى وجه الأمرء وعللوه بتلك العلة ومن المعجب ان امام الحرمين من الشافعية اغتر بمنع الحكماء النساء من الخروج في زمنه وظن ان عليه جميع المسلمين

قال الرهلي في شرح المنهاج عند تصحيح المتن لحرمه النظر الى وجه المرأة وكفيها حتى عند الامن من الفتنة : « والثاني لا يحرم ونسبه الامام للجمهور والشيخان للاكثرين وقال في المهمات انه الصواب . وقال البلقيني الترجيح بقوة المدرك والفتوى على ما في المنهاج وما نقله الامام من الاتفاق على منع النساء أي منع الولاية لمن معارض لما حكاه القاضي عياض عن العلماء انه لا يجب على المرأة ستر وجهها في طريقها وانما ذلك سنة وعلى الرجال غض البصر عنهن للآية وحكاية المصنف عنه في شرح مسلم وأقره عليه » الخ ما ذكره ومنه انه يحرم النظر الى المرأة المتقبة التي لا يرى منها غير عينيها ومحاجرهما والى السجوز والمشوّهة

وفي حاشية المقنع من كتب الخنابلة « لا يجوز له النظر الى الاجنية قصداً وهو المذهب . وقال القاضي يحرم النظر الى ما عدا الوجه والكفين لأنه عورة ويباح له النظر اليهما مع الكراهة اذا أمن الفتنة ونظر بغير شهوة وهذا مذهب الشافعي . قال في الانصاف : وهذا الذي لا يسمع الناس غيره خصوصاً للحبران والأقارب غير المحارم الذين نشأ بينهم » ثم نظر في هذا بأن فيه تجريباً للفاسق وهو مخالف لمقاصد الشرع في إصلاح أمر الدنيا والآخرة . وبمثل هذا صرح الحنفية مع أن الجميع يروون عن أئمتهم ان الوجه والكفين غير عورة وعن ابن عباس تفسير الآية بذلك أقول مسألة الخوف من الفتنة العارضة أو سد ذريعتها لا يصح ان تجعل دليلاً لتغيير حكم من احكام الدين التي كان عليها السلف يحظر أو إباحة تغييرا معلقا كأن



## (المنارج ٧م ١١) احترام المسلم لشعائر غيره الوطنية والدينية ٥١٩

يقال مثلاً ان صلاة النساء مع الرجال في المساجد حرام في الاسلام بناء على ما يقولون به من فساد الزمان ، ومثله كشف المرأة وجهها . وانما يصرح بان حكم الاسلام هو كان الذي عليه السلف اتباعاً للكتاب والسنة ولكن اذا عرض ما يمنع من العمل به بناء على قاعدة درء المفاسد فاننا نمتنع عنه ما دامت المفسدة متوقعة

فخاصل الجواب ان كشف المرأة لوجهها هو الاصل الذي كان عليه الناس واقره الاسلام بل أوجبه في الإحرام وادعاء حرمة في أصل الدين جناية على الدين وتحكم فيه بالرأي أو الهوى وإثبات للحرَج والعسر فيه وقد نفاهما الله عنه لأن أكثر المسلمات يشق عليهن ذلك مع الحاجة الى العمل والسفر وان تحملن من نساء الأمصار من تعودنه أو من كفتن الثروة مزاوله الأعمال . ودعوى خوف الفتنة من كشفن لوجوهن لا تسلم على إطلاقها فاننا نعرف من نساء الفلاحين والبدو السفارات من تقطع بأنهن أبعد عن الريّة من نساء المدن المتقبات ، ولكن المرأة التي تعلم ان في كشف وجهها مفسدة يحرم عليها كشفه بلا شك

### ﴿ احترام المسلم لشعائر غيره الوطنية والدينية ﴾

(س ١٣ و ١٤) من ج ١٠ . بمصر

جناب الاستاذ العالم الشيخ رشيد رضا المحترم

حبذا لو تكرمتم بإبداء معلوماتكم السديدة وآرائكم المفيدة عن السوالين الآتين وما ذلك الا حياً في الافادة والاستفادة .

١ - هل يجوز لأحد المسلمين ان يراعي شعائر الدولة التابع لها أم لا ؟  
مثلاً اذا فرض وجود بعض المسلمين التابعين لدولة مسيحية كالروسيا وغيرها هل يتعتم على الرعايا المسلمين في مثل هذه الاحوال ان يجاروا الشعب في شعائرهم مع وجرد المغايرة في الاحتفالات الدينية بمعنى هل يليق بهم أن يهودوا بالاحترام اللازم اتمصر أو للحاكم اذا مر في الشوارع أو قابله في محله كما تفعل الرعية التي على دين ملكها أو حاكمها . وهل يشارك المسلمون في اقامة الاحتفالات التي تقوم

## ٥٢٠ حديث علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل (المناج ٧م ١١)

بها الدولة التابعين لها كاحتفالها بعيد ملكها أو بعيد وطني أو يجب تجنب مثل هذا الاحترام وهذه الاحتفالات بغير الملوك المسلمين .

٢ --- هل يجوز للمسلم احترام شعائر غيرة الدينية أم لا ؟  
مثلا إذا أراد أحد المسلمين دخول كنيسة مسيحية أو ما شاكلها وطلب منه رفع عمامة أو محاراة الشعب في عوائده الدينية هل له ان يفعل هذا أم يتمتع .  
هذا ما أردنا الاستفهام عنه من عالم خير مثلكم فترجو الإجابة اما عموميا في مجلتكم الزاهرة او خصوصا باسمي والسلام

( ج ) اما الاحتفالات والشعائر الوطنية فيباح للمسلم أن يشترك فيها مع أهل وطنه ما لم تشتمل على محرم في الاسلام كشرب الخمر على اسم الملك الذي يسمونه النخب وأما الشعائر الدينية فلا يجوز للمسلم ان يشارك غير المسلمين فيها كأن يصلي معهم كصلاتهم الخاصة بهم كالي تكون منهم في الكنيسة وهم مكشوفو الرؤوس متوجهون الى قبلتهم وان لم يقل قولا يحظره الاسلام . فالحظور في هذا المقام يرجع الى أمرين - أحدهما الاتيان بما هو ممنوع في الاسلام كتعظيم صور الانبياء والصالحين أو طلب الخير أو دفع الشر منهم . وثانيهما العمل الديني الخاص بغير المسلمين بحيث لو عمله المسلم لعدده رائيه منهم هذا ما اتفق عليه الفقهاء فيما نعلم ولعلنا نفصل القول في ذلك بعد

## ﴿ حديث علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل ﴾

( س ١٥ ) من احمد افندي محمد عطيوه بالقناطر الخيرية

المرجو من حضرة الاستاذ الحكيم السيد رشيد رضا افادتي عن هذا الحديث « علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل » في أي كتاب من الكتب الحديثية المعتبرة هو - وفي أي باب هو صحيح هو أم ضعيف . ولكم من الله الاجر ومني عاطرثناء والشكر ( ج ) هو حديث موضوع تجدونه في كتب الموضوعات وذكره الحافظ السيوطي في الدرر المنتثرة وقال لا أصل له ، والشيخ عبد الرحمن الديع في تميز الطيب من الخيث وقال « قال الدميري والزرکشي وابن حجر إنه لا أصل له »

(المنار ج ٧ م ١١) العمل بالأحاديث، السنة، نسخها بالقرآن ٥٢١

## باب المناظرة والمراسلة

٥

### ﴿ بحث العمل بالأحاديث القولية والأحاديث الفعلية ﴾

يقول حضرة الدكتور أما السنة القولية ( الأحاديث ) فبعضها نسخ بالقرآن وبعضها الآخر نسخ بالأحاديث الأخرى . ونحن نقول ما الدليل الذي قام لدى حضرة الدكتور في التفرقة بين السنة القولية والسنة الفعلية ؟ ولم لا يكون النسخ في الفعلية ؟ وما الدليل على ذلك ؟ اليس من المقرر والمسلم أن أصل كل تشريع إنما هو القول ؟ وهل يعرف الواجب والحرام والسنة والمكروه إلى غير ذلك إلا بالقول ؟ ألم يكن من المعلوم أن الأفعال تنطرقها احتمالات كثيرة إذا لم يقارنها البيان بالقول وقد تبقى مجملة لا يتعين المراد منها إلا به ؟

يقول حضرة الدكتور « فبعضها نسخ بالقرآن » ويقال عليه أن نسخ السنة بالقرآن « قد قال الإمام الشافعي أنه لا يكون حتى حكى بعض الشافعية عنه أنه قال حيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له

وحضرة الدكتور لم يذكر ذلك عنه بل نقل بعض قوله وترك البعض ودونك قول الإمام في الرسالة « لا ينسخ كتاب الله إلا كتابه » ثم قال — وهكذا سنقرسول الله (ص) لا ينسخها إلا سنته « فإن جاز الاستدلال بقول الإمام هناك جاز هنا والا فلا في الموضعين

وقوله « وبعضها الآخر نسخ بالأحاديث الأخرى » يقال عليه فهذه الأخرى النسخة هل هي معلومة أم لا وهل هذه هي المدونة عند أهل الحديث أم هي أحاديث غيرها ؟ واين هي ؟ ومن أدراك بها فأنك قد قررت أنك لا تقبل النسخ إلا أن تجد الله أو رسوله قال هذا ناسخ وهذا منسوخ وينقل إلينا ذلك بالتواتر فهل أنصفت مناظريك ؟ —

( المجلد الحادي عشر )

( ٦٦ )

( المنار ج ٧ )



## ٥٢٢ العمل بالأحاديث . دعوى احتياج القرآن الى السنة ( المأرج ٧ م ١١ )

وقوله « وعندنا انه لم يبق منها شيء يجب العمل به غير موجود في القرآن »  
الجواب عليه هنا ان يقال ان هذه مجرد دعوى لا يستطيع حضرته ان يقيم اليانة  
عليها هو ولا غيره فان في السنن من الاحكام والآداب أضاف ما في القرآن وهي  
بفضل الله تعالى لا تخالف مقاصد القرآن وهي مطابقة للعقل ولا يمكن ان يستغني  
عنها البشر ولولا خوف الاطالة لاتينا بجمل منها وينا ما لها وما عليها ومقدار الحاجة  
اليها فليتبعم ذلك حضرته

بل نقول ولا يبعد ان القرآن محتاج الى السنة اكثر من احتياج السنة اليه .  
يوضحه ان القرآن الكريم ذواوجه والسنة مينة للمراد منه تارة وشارحة ومفسرة  
أخرى . او تأتي بأحكام زائدة على ما فيه يشرعها الله على لسان رسوله (ص) لشدة  
حاجة البشر اليها اظهارا لكرامة رسوله (ص) عليه وليتعودوا طاعته واتباعه كما أمر  
بذلك في كتابه ولتلا تجرهم الشبهات الى رد بيانه للكتاب الكريم . ولبسط ذلك  
محل آخر

يقول حضرته « لانها لم تكن الا شريعة وقية تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة  
الباقية » واقول هذه دعوى وتعليل لما شاء بما شاء وكل احد يمكنه ان يدعي فإين  
الدليل ؟ اما قوله تعليلا لذلك نهيت الصحابة عن كتابتها فيقال عليه ان مسألة  
النهي عن الكتابة والترخيص فيها هي مسألة لاتدل على نسخ السنن النبوية باحد  
الدلالات مطلقا والقاري يرى ان حضرة الدكتور قد ملأ الكون صياحا بالانكار  
على العمل بالظن فالتا نراه قد انسل هنا الى هدم ما كان اسسه ثم يعمد الى هدم  
القصور اليقينية فيرد جميع السنن ويلغي طاعة الرسول (ص) التي أمر الله بها في  
غير موضع من كتابه والاحاديث المتواترة لفظا ومعني في وجوب اتباعه واتباع  
سننه . ويرد اجماع الصحابة بل جميع الامة ؟ ماله يرد ذلك كله بالحرص والتخمين  
الذي لا يبلغ الى اضعف مراتب الظن بل لا يصح ان يعتبره معتبر ؟ فليعتبر  
حضرته بمناقضته لنفسه بنفسه

إن أمر النهي عن الكتابة لم ينقل اليان متواترا بل قد اختلف في رفعه الى المعصوم (ص)  
وفي نسخه وقد عارضه ما هو اقوى منه ولم ينص فيه على أن المراد منه ان السنن موقت

## (المراجع ١١ م) سبب النهي عن كتابة الحديث ٥٢٣

شرعها أو انها منسوخة بعد مدة كذا من الزمن ولا انه نهى عنها لأجل ان تندثر السنن بطول الزمن . ان احدهذه الامور التي ذكرناها تمنع الاستدلال على ما قصده حضرة الدكتور فكيف يصح ان يكون ما هذا حاله معارضا لجميع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واجماع الصحابة بل وسائر المسلمين ! فطاعة الرسول ووجوب اتباع سننه معلوم بالضرورة من دين الاسلام — لا سيما اذا كان حديث النهي عن الكتابة معللا بعلة منصوصة عن روايه وهو خوف الالتباس بالمصحف . وكل من روي عنه من الصحابة النهي او الامتناع عن كتابة الحديث فهو دائر على هذه العلة كما صرحوا بذلك . ومنهم من خاف ان يقع في الوعيد على الكذابين ومنهم من نهى عن كتابة رأيه فاشتبه ذلك على الناظرين فظنوا انه نهى عن كتابة السنة النبوية وليس الأمر كذلك — فالقول بان نهىهم عن كتابة العلم او الحديث نص في النهي عن كتابة السنن النبوية هو قول بالخرص

ثم هل يجوز لمن لا يجوز العمل بالظن ان يأخذ اقوالهم في امر قد صرحوا بسببه ان يتركه ويهمله ثم يحمل قولهم على غير ما ارادوه بل على ما نهوا عنه وهو ترك اتباع السنة واعتقاد وجوب اتباعها . ثم تقول الحق ان الامور المطللة يدور حكمها مع عللها وحيث زالت العلة زال الحكم وهو ها خوف الالتباس بالمصحف فقد وقع الاجماع على جواز بل استحباب كتابة الحديث وقال بعضهم بالوجوب وهو الحق . هذا كله اذا سلمنا ان حديث النهي مرفوع وانه غير منسوخ . ومن اطلع على القاعدة الاصولية من انه اذا وقع التعارض بين دليلين احدهما مانع والآخر مرخص مثلا عرف ان الاجماع على كتابة السنن غير معارض لص — لأنه بعد تساقط الدليلين المتعارضين اغنى حديث النهي عن الكتابة واجاديت الامر والترخيص فيها تبقى البراءة الاصلية والاجماع ان لم تقل هو حجة فهو مؤيد لها

ونحن نسأل حضرة الدكتور هل حكم حديث النهي عام وباق ام لا ؟ فان قلت بالاخير فقد وافقتنا وحينئذ لا يصح لك الإلزام به . وان قلت بالاول لزمك ان تمنع عن كتابة جميع العلوم المستنبطة من القرآن بل اولى من ذلك كله ان تمنع عن كتابة سائر العلوم

## ٥٢٤ الفرق بين القرآن والحديث (المناج ٧ م ١١)

ان كان الاختلاف في كتابة السنة قادحا في العمل بهامسوغا لاقتراح ان علة ذلك وسببه كونها شريعة مؤقتة — فان الاختلاف قد وقع في جميع القرآن وكتابته واول من خالف في ذلك الخليفة الاول ثم رجع الى قول عمر (رض) قبل يسوع ان يقال ان الصديق رضي الله عنه لم يخالف في ذلك الا لان شريعة القرآن مؤقتة لا — لا — في الامرين فان قيل ان الصديق قد رجع ووقع الاجماع على ذلك . قلنا وكذلك جمع السنة وكتابتها قد وقع الاجماع عليه . والفارق لما سأل الصحابة رأيهم في جمع السنن اشاروا عليه بجمعها ولكنه خالفهم للسبب الذي ذكرناه كما صرح بذلك هو اذ لم يحسن له الوقت المناسب الذي يزول فيه خوف الالتباس ولما كان هو اذ ذاك صاحب الامر لم يستطع من أشار عليه منهم ان يفعل غير ما مضاه الخليفة

ومن تفكر في اهل زماننا بل منذ ازمان قديمة رأى صحة هذا التعليل المنصوص دراية كما هو صحيح رواية فانك تجد مصداق ذلك فيما نراه من اكتاب الناس وانهما كهم على كتب شعنت بأراء مشايخهم واسلافهم حتى جعلوها كالمصاحف بل قدموها على المصحف وعلى السنة النبوية على صاحبها الف صلاة وتحية أما قوله « ولم يعاملها النبي (ص) ولا أصحابه بالعناية التي عومل بها القرآن لتزول من بين المسلمين وتندثر » فأقول أي المعاملات يريد حضرة الدكتور فان كان يريد ان القرآن يمتاز بانه كلام الله لفظاً ومعنى وانه معجز متحدى به وانه متعبد بتلاوته وانه كلام الخالق غير مخلوق ونحو ذلك فهذا صحيح وسنن الرسول (ص) لا يمكن ان تعامل بهذه المعاملة كلها — فكما ان الله جلا وعلا هو الرب والاله المعبود ومحمد (ص) عبده ورسوله وداع اليه بإذنه فلا يعامل بما يعامل به الآلهة مما يخص الالهية والربوبية فكذلك كلامه (ص) لا يعامل بما يعامل به القرآن من كل الوجوه كما تقدم وان اراد ان النبي (ص) لم يعامل سنته بما يعامل به القرآن من حيثية التشريع كأن يأمر الامة بما لا يجب الاثمار به وينهاهم عما لا يجب ان ينتهوا عنه أو أنه يعتقد ذلك او ان اصحابه يرون عدم وجوب اتباعه في جميع اقواله وافعاله وفما شرع الله من الدين على لسانه بإرادة هذا منه (ص) أو منهم هو أحمل



المحال وحضرة الدكتور نجله ان يعني ذلك فمن زعم ان محمد (ص) اوجب ما ليس بواجب وحرّم ما ليس بحرام على الامة وانه يعلم ذلك ويعتقده او ان اصحابه يعتقدون ذلك او انهم لم يأتروا به الخ فخطؤه فوق كل خطأ واقتراؤه فوق كل اقتراء ومع ذلك كله هو غير مستند الى شيء يصح الاعتماد عليه حتى ولا شبهة

فقول القائل ان ما اوجبه او حرّمه النبي (ص) انما هو مقيد بوقت حياته — هل يصح ويثبت بدعوى عدم الكتابة او دعوى النهي عنها أو انها لم تكتب مدونة مرتبة ؟ قد قد منا ان عدم الكتابة مطلقا لم يرد فيها الا حديث واحد قد اختلف في رفعه وسبب النهي منصوص كما قد مناه مع معارضته لما هو اصح منه فهل يصح ان يكون ذلك الحديث المذكور ناسخا لآيات الكثيرة القرآنية المصروفة بوجوب ولزوم طاعة الرسول (ص) واتباعه — ان طاعة الله لا يتنازع احد في وجوبها في وقته (ص) وبعد وفاته وانها أي طاعة الله واجبة علينا كما هي واجبة على اول الامة

لكننا نرى القرآن مصرحا بان طاعة الله مشروطة بطاعة الرسول (ص) وهل طاعة الرسول (ص) الا الاتّباع بامر والانتفاء لنهيهِ والا لم تكن له طاعة وقد عرفت ثبوتها وادّل القرآن عليها نصا كما يأتي وهي لا تكون الا في سنته القولية كما قال تعالى « وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شيذا » من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فمأرسلناك عليهم حفيفا » اما الاتّباع والتأسي فيكون في الفعلية العملية والقولية بها يمكن لاحد ان يعبر عن وجوب اتّباع احد وطاعته لا يمكنه ان يعبر عن ذلك باكثر وأوضح مما عبر الله به في وجوب اتّباع رسوله محمد (ص) فان كان ذلك قابلا للتشكيك لزم ان لا يوجد في العالم خبر يوثق به وبدلالته

ان الله جل شأنه لم يأمر بطاعته في القرآن الا وأمر بطاعة رسوله (ص) معه بن قد يفرد الامر بطاعة الرسول (ص) ويجعلها شرطا لطاعته ولم يفرد طاعته عن طاعة الرسول (ص) ثم هو تارة يأمر باتّباعه وتارة يأمر بالتحاكم اليه ويجعل ذلك من شرائط الايمان وكذلك تسليم ذلك له وعدم وجدان الخرج — وتارة يأمر بالتأسي به وتارة يقول « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وتارة

يعلمنا بأنه المبلغ عنه المؤمن وتارة ينسب التحليل والتحريم اليه (ص) ثم نراه ينبه في محل آخر بأنه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى - وتارة يأمره أن يحكم وان لا يحكم الا بما اراه الله - وتارة يقول له « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله » فجعل اتباع الرسول (ص) مقدما على طاعتهم بحجة الله وبابا لحجة الله لهم وهذا لا يمكن ان يخص بقوم دون قوم وزمان دون زمان - وتارة ينهى عن التقدم بين يديه بقول أو فعل وتارة ينهى عن التولي عنه وعن امره - وتارة ينهى عن مخالفة امره وتارة ينهى عن التسوية بين دعائه ودعاء غيره وقد قرأه الداعي الى الله حتى انهم كانوا يرون اجابة غير مبجلة للصلاة وتارة وتارة يحذر عن مخالفتهم أمره « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » الآية - وتارة ينهى ان يجعلوا لانفسهم الظهرة من أمرهم مع أمره - وتارة ينهى عن مشاقته وإن من شاقه فقد شاق الله وتارة يجعل من صفات الايمان بالله المبادرة الى طاعة الرسول (ص) الى غير ذلك من اساليب التعبير والتفنن فيه لا يوضح وجوب اتباع الرسول (ص) فان القرآن ملآن من أوله الى آخره بذلك حتى القصص فانها انما سقت للاعتبار وليطاع الله ويطاع رسوله (ص) ويتبع وليؤمن الناس بالله ورسوله (ص)

فهل يصح ان يهدم هذا كله بشبهة حديث ابي سعيد (رض) على ما فيه مما قدمناه؟ ام هل يسوغ ان يقال ان الصحابة (رض) خالفوا ذلك كله وانهم لم يعتنوا بسنته اذا رأينا احدهم احتاط في الرواية او حكم بخلاف السنة بعذر انهم لم تبلغه ولو بلغته لرجع اليها كما قد شوهد عنهم الرجوع اليها في جميع أحوالهم وهل يصح اعتبار قول من خالف ما ذكرناه كأننا من كان ما لم يكن عن الله أو عن رسوله وقد عرفت حكمها في ذلك .

فكيف يصح قول الدكتور ان النبي (ص) وأصحابه لم يعاملوا السنن النبوية بغير ما عاملوا به القرآن الا لتندثر وتزول من بين المسلمين مع ما عرفت مما قدمناه عن القرآن . ولم لم يصرح الله ولا رسوله (ص) ولا أصحابه (رض) بما صرح به حضرة الدكتور؟

ان من تتبع أقوال النبي (ص) ووصاياه ومواعظه وخطبه يجدها موقفة لما

دل القرآن عليه ومناقضة لما زعمه حضرة الدكتور « اني تارك ما ان تمسكتم به لن نضلو كتاب الله وسنتي » والأحاديث متواترة في أمره (ص) ان يبلغ عنه وفي وجوده، اتباع سنته أيضاً تواترا معنوياً . أما أقوال الصحابة (رض) في اتباع الكتاب والسنة، فأكثر من ان تستقصى بل ذلك اجماع عنهم وعن سائر المسلمين - وكل ما خاف الكتاب والسنة قائما هو عند الصحابة (رض) من الرأي المذموم وهو الظن المشؤم الذي حذر الله عنه في كتابه فحمله حضرة الدكتور على الرواية والمروي بلا يئنة بل بناء على اصطلاح المصطلحين . على ان كل من سوى الرسول (ص) غير معصوم من الخطأ والسهو

هذا ولا يحيط بسنته (ص) الا مجموع الأمة وما عند الأمة من ذلك قد دونوها هو بين أيدينا فهموا بنا الى اقتفائه واتباعه (ص) الذي لا حياة ولا نجاة لنا الا به « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم » فليحذر الذين يخالفون عن أمره « الآية » ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقنه فأولئك هم الفائزون « نسأل الله لنا ولأخينا الدكتور الهداية والتوفيق لصراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والصالحين وان يوفق من أراد له الهداية انه سميع مجيب وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله الامين وآله وأصحابه الطيبين ومتبعيهم بإحسان الى يوم الدين آمين

كتبه بيده وقاله بفمه

الحقير صالح بن علي الياضي عفا الله عنه

(المنار) اذا اراد الدكتور محمد توفيق افندي صدقي ان يرد على هذه الرسالة فالمرجوه منه ان يبين ما يراه متقدماً منها بالاختصار ولا يطيل في اصل الموضوع وان يسلم بغيره المتقد عند تسليم صريحاً



## أثر علي بن الحسين

✦ إرشاد الأريب، إلى معرفة الأدب ✦

المعروف بمعجم الأدباء - أو - طبقات الأدباء

مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبد الله ياقوت الحموي المولد البغدادى الدار الرومي الجنس صاحب كتاب معجم البلدان المشهور . كان غلاماً لتاجر حموي عليه ليكون عوناً له في تجارته ثم اعتقه وتركه مدة ثم استعمله في تجارة سفره بها فلما عاد كان مولاه قد توفي فاعطى أولاده وزوجته شيئاً مما كان بيده فأرضاهم وأتجر بالباقي وجعل بمض تجارته كتباً فكانت عوناً له على ما تصبو إليه نفسه من العلم لاسبأ التاريخ والأدب . ألف مؤلفات كثيرة في ذلك أشهرها معجم البلدان ومعجم الأدباء الذي ذكر ابن خلكان أن اسمه ( إرشاد الألباء ، إلى معرفة الأدباء ) ولكتنا أهدينا منذ أشهر المجلد الأول منه مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق جيد وإذا باسمه الذي كتب عليه ( إرشاد الأريب . إلى معرفة الأدب ) وكان بعض النسخ كتب عليها هذا الاسم وبعضها كتب عليها ذلك

موضوع هذا المعجم تراجم من كانوا يعرفون بالأدباء في تلك العصور قال المؤلف في فاتحته ( ص ٥ ) د جمعت في هذا الكتاب ما وقع إليّ من أخبار النحويين والقرويين والنسائين والقراء المشهورين والأخباريين ، والمؤرخين والوراقين المعروفين ، والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة والمصنفة ، وكل من صف في الأدب تصنيفاً ، أو جمع في فقه تأليفاً ، مع إيراد الاختصار والإعجاز ، في نهاية الإعجاز ، ولم آل جهداً في إثبات الوقائع ، وتبين المواليد والأوقات ، وذكر تصنيفاتهم ومستحسن أخبارهم ، والأخبار بأنسابهم وشي من أشعارهم ، الخ قال الكتاب من أحسن دواوين التاريخ والأدب وقد كان كثراً مخفياً فظهرته همة أوربية . ذلك أن رجلاً من الناشئين

## (المارج ٧) الرد على من أخذ الى الأرض ٥٢٩

في البلاد الانكليزية اسمه الياس جب كان مغرماً بدرس العلوم والتواريخ العربية والتركية والفارسية ثم مات في انتظامسة والاربعين من سنة فوقتت أمه مالا عظيماً على احياء الكتب الشرقية التي كان مشتقلاً بها يصرف ربه في ذلك وعهدت بالعمل الى لجنة من الرجال القادرين عليه وقد شرعت اللجنة بطبع هذا الكتاب بعدما غني الدكتور مرجليوث العالم المستشرق الشهير بتصحيحه وقد هدتنا الجزء الاول منه فاذا فيه بعد الفاتحة فصلان في علم الادب وعلم الاخبار يتلوها باب الهمة وهو يتدئ باسم آدم بن احمد الهرمي وينتهي باسم احمد بن علي بن المعمر وصفحاته تزيد على أربع مئة منها ترجمة ابي العلاء المعري في ٤٣ صفحة فتشكر لجميع العاملين في احياء هذا الكتاب وأمثاله فضلهم ونخص بالذكر المصحح ونرجو ان يعنى طابعو الكتب في مصر ولو بعض هذه العناية في التصحيح والاقان

## (الرد على من اخذ الى الارض ، وجعل ان الاجتهاد في كل عصر فرض)

بنيت قواعد الاسلام وأقيمت أركانه على أساس العلم حتى كان من المجمع عليه عند علمائه ان جهل المكلف بما يجب عليه من أصوله وفروعه ليس بعذر في الدنيا ولا في الآخرة فالقاضي الشرعي لا يترك عنونه اذا ارتكب موجبا جاهلا كما ان الله تعالى لا يندره في الآخرة اذا اقترف الفواحش والمنكرات جاهلا بحريمها . قالوا الا اذا نشأ في شاق جيل أو كان قريب عهد بالاسلام . والعلم ما كان بالدليل فالعالم لا يكون الاجتهاد ولذلك اجمعوا على ان المقلد لا يسمى عالماً كما صرح به ابن القيم في أعلام الموقعين وقد بقي الفقهاء الى اقرون الوسطى يطلقون لفظ العالم ويريدون به المجتهد كما ترى في كلامهم عن القاضي والمفتي ولكن وجد في هذه اقرون من المؤلفين الجاهلين من ادعى ان الاجتهاد طوي زمنه وأن العلم بالاسلام أي بالكتاب والسنة صار متعذراً وان الواجب على جميع المسلمين هو الأخذ بما كتب في المصنفات الفقهية التي أنها المنسوبة الى أحد المذاهب المشهورة فقام المدافعون من العلم يردون هذه الدعوى ويبنون وجوه بطلانها حتى افردوا ذلك بالتأليف

(المنارج ٧) (٦٧) (المجلد الحادي عشر)

من هؤلاء الحافظ الشهير جلال الدين عبد الرحمن السيوطي فقد وضع فيها كتابا سماه « الرد على من أخذ الى الارض ، وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض » وقد اورد فيه القول الكثيرة عن اكابر علماء المذاهب الاربعة لأن كلامهم يقنع المقلدين المنكرين مالا يقتنعهم الدليل المؤيد بنصوص الكتاب العزيز وما جرت به السنة السنية . وقد طبع هذا الكتاب طبعا حسنا في المطبعة الثعالبية بالجزائر وهو يطلب من صاحبها احمد افندي بن مراد التركي وأخيه فتشكرهما احياء هذا الكتاب النافع ونحث القراء على الاقبال عليه

### ﴿ ليالي سطحي ﴾

طبع الجزء الاول من هذا الكتاب الذي شرع في تأليفه حافظ افندي ابراهيم وجعله في انتقاد الاخلاق والعادات، ووصف حال الاجتماع في مصر، وجعله حوارا مع سطحي الكاهن الجاهلي ، ذلك الكتاب الصغير الكبير ، الذي تبارى في تقيظه عالم الكتابة والتحرير، فسالت انهار الجرائد بمداد آياته، وجرت اقلام الكتاب في فلك حسناته ، ولهجت السنة الفصحاء بوصف ما في مبانيه من المتانة والاحكام ، وما أودعه اسلوبه من الرقة والانسجام ، وتغلغل افكار الحكماء في التأمل بما انطوى عليه من الحكم والعظات ، وما بينه من الامثال والمثلثات ، وتلطف الناقدون في الايماء الى ما فيه مما لم يخل من مثله كلام الناس ، كالتفاوت بين بعض الجمل او عصيان قوانين القياس ، فلو جمع ما كتب في تقيظ كتاب ليالي سطحي ، من الثناء والمدح ، لكان معه كليا لي هجر الملل ، مع ليالي الوصال ، على ان ليالي التقيظ هي من ليالي الوصال البيض ، جمع فيها الأدب بين جمهور من الادباء المنشئين ، وبين محبوبهم حافظ افندي ابراهيم ،

اخذ اولئك الكتاتيون مسالك قول على من يحاول بعدم وصف الكتاب او نقده فما على النار الا ان يجعل الوفاء بذمة حافظ عرض شي من حكم كتابه على قارئه ، لعلهم يهتدون الى فضله بكواكب لياليه ، فمن ذلك قول سطحي في الحث



## (المنار ج ٧ م ١١) أحياء جمال الدين ومحمد عبده لغة ٥٣١

على العناية باللغة العربية ونصر دولتها وذكر إمامي المصلحين : حكيم الاسلام ،  
والاستاذ الامام ( ص ٦٢ )

«فما ضرركم لو تساندتم جميعا وانتم لا تتجاوزون زمن القمر عدا ، فرفعت من شأن  
هذه الدولة ، وحركتم من انظامدين ، وهزتم من الجامدين ، فاني أراكم بين  
متفصح على اخيه ، ومتنبل على قرينة ، وليس هذا صنع من يريد ما تريدون ، يحاولون  
رد هذه الدولة الى شبابها ، بعد ان خلا من سنها ، ولو لم يتداركها الله بذلك الافغاني  
لقضت نجبتها ولقيت ربها ، قبل ان يمتعها بكم ويمتكم بها ، أدركها الافغاني ولم يبق  
فيها الا الدماء ، فنفخ فيها نفخة حركت من نفسها ، وشدت من عزمها ، أدركها  
وهي شمطاء قد نهض منها يياض المشيب في سواد الشباب ، فشاب قرنها قبل ان تشيب  
ناصية القرن الخامس ، فسودت يده البيضاء ما بيضت من شعرها سودا ليلي ، وتهدتها  
همته بصنوف العلاج حتى استقامت قناتها ، وبدأ اصلاحها ، وقد كان الناس في ذلك  
العهد يدينون باللفظ ويكفرون بالمعنى ، فما زال بهم حتى ابصروا نور الهدى ، وخرجوا  
بفضله من ظلمات القرون الوسطى ، وقام بعده نفر ممن تأدبوا عنه فكانوا كالسيوف  
فرجت للرماح ضيق المسالك فانفسح للتأدين المجال وجمال كل جولة ، وتنبه الوجدان  
وتيقظ الشعور وتحرك الفكر حتى أفضى الى حركة النفس ، وظهر أثر جمال الدين في  
النفوس العالية ، وأصبحت تبندر كلامه الاسماع الواعية ، فكان من ذلك ان انطوى  
أجل التقليد ، وأن بعث الله على يديه ميت اللغة وحيارات الانشاء ، وغادر رحمة الله  
عليه مصر ولم يضع لنا كتابا نأخذ عنه ، أو مؤلفا نفتخر منه ، ولكنه ترك لنا رءوسا  
تؤلف ، وأفكارا تصنف ، وكأنه أحس بذلك حين أحس بالموت فكان يقول وهو  
يجود بنفسه : خرجنا منها ولم ندع لنا أثرا ظاهرا بين السطور ، ولكننا لم نغادرها حتى  
تقشنا ذلك الأثر على صفحات الصدور ، فان لم ترثوا عنا في بطون الكتب فقدورتم  
عنا في صدور الرجال ، فاذا حوتم التراب على رجل الافغان فطليكم برجل مصر  
خرج من الدنيا كما خرج سقراط لم يغادر كلاهما مؤلفا ، ولم يدع مصنفاء ، فلو لا  
محمد عبده ما عرف رجل الافغان ، ولو لا أفلاطون ما ذكر رأس فلاسفة اليونان  
ولما سكنت أفلاس الافغاني بعد أن تجددت بذكره الانفاس ، خلفه حكيم الشرق

## ٥٣٢ الأستاذ الامام وتعاليمه وتلاميذه ( الملتار ء ١١١٧ )

في دولته، ووطن نفسه على الماضي في طريقته، فأسمع الناس في الحق واسمعوه، واخافوه في ذات الاله وخافوه، ولم يزل بهم حتى غلب حقهم على باطلهم ثم مضى لسبيله رحمه الله فتفتت الاذهان، وتطلعت العقول الى البحث، وبرزت اللغة من خباياها، تخرج مطارف آدابها، وأطل علم الادب Litterature من مناره مشرقاً على النفوس فأرسل نوره الى الضمائر، ونفذت أشعته الى السرائر، فنى تحت نظره الشعور كما ينمي النبات جاذبه الشمس بالنظر، أو كته أشعة القمر، فلفظ من كثافة النفوس، وهذب من مرارة الارواح، حتى شفت الأولى وعذبت الثانية وبدأ دور هذه الحياة الجديدة بفضل الأدب وعلمه، اه المراد منه هنا

ثم ذكر سطيج ومحاوره الأستاذ الامام وتلاميذه في مقام ما يرجي من الإصلاح قال ( ص ١٤٤ )

قال ( اي سطيج ) وابن مكانك من العلم، وابن منك منزلة الحلم، قال حسي آني من تلاميذ حكيم الاسلام، الأستاذ الامام، طيب الله ثراه، وجعل النعيم مثواه. قال آني لأرى رأياً حصيفاً، واسمع قولاً شريفاً، فمن أي تلاميذه تكون؟ فقد سمعنا انهم فريقان فريق قد اختصه بسياسة، وفريق قد اختصه بعلمه، وقد أثنى عليهما العبيد، وتباً لهما بالطالع السعيد، قال — لا علم لي بماقول. ولقد كنت ألصق الناس بالامام أغشى داره، وأرد أنهاره، وألقط غارته، فما سمعته يخوض في ذكر السياسة قبها الله، ولكنه كان يملأ علينا المجلس سحراً من آياته وينقل بنا بين مناطق الافهام، ومنازل الاحلام، ويسمو بأنفسنا الى مراتب العارفين بأسرار الخلائق، وحكمة الخالق، وكان ربما ساقه الحديث الى ذكر أحوال هذا المجتمع البشري فأفاض في شؤون الاجتماع وحاج العمران، ووقف بنا على أسرار الحياة ولم يزل ذاك همه رحمه الله يلقي في الأزهر دروس التفسير وفي داره دروس الحكمة حتى مضى لسبيله، فان كانوا يسمون تلاميذه أحزاباً ويقسمون تعاليمه أبواباً، فتلاميذه حزب العلم والعرفان، وتعاليمه سياسة التقدم والعمران، على انه كان من اشد الناس تبرماً بالسياسة واهلياً، حتى أعلن براءته من الالتصاق بها، فقال عنها في كتاب الاسلام والنصرانية ما قال

٥٣٣

(المنازع ١١٧) الأستاذ الامام وتعاليمه وتلاميذه

لكنه كان يحتك بها مادعت الى ذلك الحاجة ويرصد حركاتها وصدا ، ويصد غاراتها صدا ، خشية أن تقطع على العلم سبيله ، أو ان تقف عثرة في طريق الفضيلة ، ولولا ذلك لقطعت عليه سلك أمانيه ، وحالت بينه وبين ما كان يتقنيه ، فكم تطلعت في ابتزاز قواها ، وتحامى جوده طريق أذاها ، حتى اذا ظفر بطلته ، وقاز برغبته ، واستمد منها ما شاء ، تحت حماية الاقفاء ، عطف على العلم بذلك الامداد ، ورد عليه ما سلبت يد الاستبداد ، ولعله اوهم العميد ، ببقعة حزب جديد ، ليرد عاديته ، ويضد عليه سياسته ، في مصادرة العلم ، ومصارعة الحلم ، أما ترى بربك أثر ذلك في المدارس ، وما عبثت به يد ذلك السائس ، ولولا ان الامام مادهم جبل الوداد ، وجاذبهم فضل النصيح والارشاد ، لاصابه ما اصاب حكيم الاقنان ، وقضي على هذه الامة بالحرمان ، فلقد كان يندو على الوكالة ويروح عنها ليدفع عنا شره القوم ، ويصلح ما فسد اهل الدسائس ، فكم زحزح عنا حادثا ، ودفع كارثا ، ولو كان حيا يوم دار الفلك لنا بالنحوس في دنشواي ، لرأيت غير الذي رأيت من ذلك القصاص ، ولما اوقع صوت العميد ، بذلك التهديد والوعيد ، ولما نزع الى كتابة ذلك التقرير ، الذي جاء ابلغ ما على الضغينة على الموتور ، فكان فيه كثير جوج البراع ، ضعيف ضيف جانب الاقناع ، كانه يكتب مقالة خيالية ، الى مجلة سياسية ، وقف فيها وقفة المدافع عن نفسه

لحق النبي عليه الصلاة والسلام بالرفيق الاعلى فارادت طائفة من جفاة العرب وكادوا يفتنون الناس لولا حكمة الصديق وعزيمة الفاروق فما غضت الردة من شرف النبوة ، ولا نالت من عصبة الرسالة ، ولبت الاسلام اسلاما — ومات الأستاذ الامام فصبا بعض حربه كما يدعون ، واستغفر الله لهم عما يقولون ، فما غض ذلك من كرامة حكيم الاسلام ، ولا مس من سيرة ذلك الامام ،

أراد بعض مريديه أن يفتي غناه وان يفعل شرواه في التوفيق بين صواخ القوم وصواحناء فرمى نفسه في احضانهم ، وليست له مكانة الامام من نفوسهم ، ولا منزلته في قلوبهم ، فقصر ولا بدع ، وأخفق ولا عجب ، فان الفراغ الذي تركه الامام لا يشغله الا لوف من اولئك الذين يرفعون المقبرة بالصباح ، وينحون عليه مذهبه



## ٥٣٤ المدرسة الجامعة والتعليم الناقص والتعليم العام ( المارح ٧ م ١١ )

في الاصلاح ، ولما ظهر ذلك المريد بمظهر الاتصال بالقوم أنكر الناس منه ذلك فطارت حوله الشبهات ، وانسبطت فيه اللسن وأخذته سهام الاقلام ، على انه وان اخطأه التوفيق في عمله فما اخطأه حسن القصد ولا جازته سلامة الطوية ، فوجد بعض لرائين السبيل الى شويه سمعة الامام بعد موته ، و بالغوا في ذم حزبه ، وزادهم ضغنا ان قرأوا في تقرير العميد ما قرأوا وظنوا ان هناك حزبا يعمل ، ولو اراد الله خيرا لهذه الامة لسخر لها من تلاميذ الامام من يقوم بالدعوة الى التآم ذلك الحزب الذي أودع فيه الامام من أسرار حكمته ما كشف لهم عن حقيقة المصير الذي أصبحنا نساق اليه سوفاً أعجلنا عن النظر في أمورنا فأمسينا أتباعا لكل ناعق

قال صاحبي وقد هاله ماسمعه أ كان يكون بين ظهرانيكم أمثال أولئك الامناء على تعاليم ذلك الحكيم ولا تتعلقون باذيالهم ، على اني لا أرى فيكم الا ناعيا عليهم مشهرا بهم ، فان كنت لم تكذبني القول ، فتلاميذ الامام حقيقون باللوم لانهم يعلمون الحق ولا يدعون اليه . علموا ان لا حياة لهذه الامة بغير الجامعة فما لهم لا يواصلون قرع انوف الاغنياء بالمواعظ ويوالون الصباح بطلب تأسيسها فتلقي اصواتهم بالنداء في أنحاء القطر ؟ ولكنهم سكتوا اللهم الا شاعرا منهم قد قرض قصيدة وقاضيا قد جبر مقالة في سبيل الجامعة درج كلاهما في اثناء النسيان فحمد الاغنياء عن البذل لجود أولئك الوعاظ عن الكلام وتدققوا في انشاء الكتيب حين ساقهم الحكومة الى ذلك ولو علموا ان انتشار التعليم الناقص شر على الناس من بقاء الجهل لما بذلوا في سبيله ما بذلوا فكان مثلهم في ذلك كمن يحاول النجاة من أنياب النمر ليقع تحت براثن الليث لانهم انما يستبدلون بانتشار الكتيبات الجهل ولكن بداء الفرور فسييل الاصلاح ان تنشأ الكتاب وتبنى الجامعة في وقت مما حتى اذا أخرج الاول نصف انسان أطلعت الثانية انسانا كاملا فتكفل هذا الكامل بصلاح ذلك الناقص فتتمسك الامة ويكثر فيها الدعاة الى الخير فليس ينحدر منها وبين الحياة الا ان يخرج لها العلم الصحيح رجالا يقودون الافكار ويسلكون بها سبيل الرقي . ومن رأى ان هذه الامة لا تنهض الا بتعليم مجموعها وتهذيب افرادها فقد أخطأ مواقع الرأي فكم نهضت امة بفرد واسست دعائم دولة على عزائم آحاد وفوا

## ( المارج ٧م ١١ ) الفساد بمصر واصلاحه بإِقبال الاندية والحانات ٥٣٥

قسطهم من العلم الصحيح واخذوا نصيبهم من الاقدام  
وقد انصرف الناس الى الصباح بطلب انتشار العلم ونسوا ان ذلك لا يفي  
عنهم شيئا اذا أعوزتهم تربية القادة وعزهم بناء الزعماء فاعلم ان بناء الرجال لا تكون  
الا في بناء الجامعة

قال الاديب وهل يكفي العلم وحده لصلاحنا ونحن على ما ترى من الخلق  
والدين : فسوق عن امر الكتاب ، وطاعة للهوى ، فلا وازع من الدين ، ولا  
زاجر من الخلق ، فاذا ترعزت العقيدة ولم يطمئن الطبع قل ان ينجع في الناس علاج  
العلماء ، او تأخذهم صيحة الخطباء

قال صاحبي صدقت ولكن ما تراه انت خطبا كبيرا ، لم يكن في نظر الحكمة  
الا أمرا يسيرا ، واني اذ كرك لك دواء هذا الداء وهو أيسر مما في نفسك ، فلا تنزل  
أمرى معك على المزاح ، ولا يصفرن في عينيك مآثي ما ألقى عليك ، فرب مؤرّب من  
العقد ضلت حله الحكماء واهتدت اليه خطرة من الفكر يرمي بها أحد العامة ،  
وتغفل عنها عقول الحامة ، ولعلك اذا سمعت ان الدواء الناجع ، والعلاج النافع ، لا يحتاج  
الى مقدمات طويلة ، او فلسفة جليلة ، أصغرت ما كنت تكبر ، واستنزرت ما كنت  
تستغزر ، فاعلم انه اذا اقلت أبواب المتدييات ، واطفئت أنوار الحانات ، قبل منصف  
من الليل ، انحرف عنكم جارف هذا السيل

هذه لندرة لا تكاد ترى في حوانيتها ساهرا ، ولا تجد في طرقاتها غابرا ، اذا  
انقضى الثلث الاول من دولة الظلام ، وتلك ( فينا ) يجمع فيها الليل بين الجفون  
والكرى ، ويحول الظلام بين الأرجل والسرى ، فاذا شب الليل أو كاد ، سكنت  
حركة العباد ، فما لكم لا تأخذون أنفسكم بتقليد تلك الخلائق ، وقد اثمروا باوامر  
الخالق وما لكم لا ترجعون الى الفطرة البشرية ، او تخضعون لنواميس السنة  
الكونية ، فنجتمعوا في ذلك بين الدنيا والدين ، ولا تعقوا اوامر الكتاب المين ،  
ياويل ، أحيم ليالي العمر بالآثام ، وأتم أيامه بالمنام ، فمكتم الفطرة ولا  
بدع اذا عكست آمالك ، وخابت أعمالكم ، خذوا مضاجعكم اذا طر شارب الظلام ،  
واهجروها اذا تنفس الصباح ، ففي ذلك صحة لا بدانكم ، وسلامة لا ديانكم

## ٥٣٦ فوائد ترك السر في الملامى (المنار ج ٧ م ١١)

إذا شئت أن تعرف ما وراء ذلك من المنافع فاني أعد لك منها ولا أعددها منها الرجوع الى المعيشة المنزلية التي أملت بزوالها روابط الأهل والأقارب، وليس ما بين البيوتات، فتذكر الأخوان، وتدابير الجاران، واقهرت المنازل من انس السر وائف الناس الجلوس في المتدييات حتى أنهم ليوحشون في ديارهم، لقلة زوارهم، وأصبح المرء في داره حاضرا كالفأب، مقبلا كالنازح، يعلم من حال البعيد عنه، ما لا يعلم من حال القريب منه

ومنها اجتياز العقبات التي أقامتها المتدييات والحانات، في سبيل الاجتماعات — كان المصريون في العهد القديم الذي نسميه اليوم عهد الظلام يجتمعون في الدور واقصود وكانت سراهم وذووا اليسار منهم يجلسون في بيوتهم للسر فينشأها العالم ويؤمها الكتائب ويقصدها التاجر ويتجها الأديب فتجري بينهم الاحاديث وتقوم سوق المناقشات — يحدث الحادث فيخوضون في ذكره، وتنزل التاراة فيجمعهم الألم على العمل على ازالتها، وتطال رؤوس المشروعات فلا يمشون يمينون سارفا، حتى قتلوا شرونها بحثا، ويتقوا على وقائنها جدالا، وينزل باحدهم المكروه فلا يزالون يلفظون بالسعي له حتى يأخذوا يده، وينهضوا به من عثرته — عقدت بينهم الزيارات، عرى المودات، قراهم وهم كأنهم أهل بيت واحد: يألم الجار الجار، ويأخذ الناهض يد ذي الثار، يربك هل نهضت أمة بغير اذنان المجتمعات، وهل اخضبت مودة اذا هي لم يعمدها أهلها بالزيارات، لقد جار في حكمه من قضى على المصريين باستحالة الاتفاق، وجعل تلك الكلمة التي رمى بها حكيم الاقنان أساسا لحكمه، فصرفه التقليد عن النظر اليها بين عقله، فمن ابن المصريين أن يتقوا اذا هم لم يجتمعوا

ومنها اقتصاد المال وأنت ترى ان هذه الستة الافدنة (اي بقعة الازبكية) تكاد تبلغ ما تخرجه ارض وادي النيل من الخيرات ولا يفرتك مآرى في عاصمة الرئيس فان أهلها من الأكاس الذين يصاؤون سر الليل بالتهار لاصطياد الذهب ولكن من جيب الغريب ونحن انما نقول ذلك لينذهب الغريب باموالنا ويسخر من جالنا هاهنا وهو خاتمة الجزء الاول من الكتاب



## (الطراز ١١م٧) رسائل البناء: سر قديم الانكليز ٥٣٧

### ﴿رسائل البناء﴾

من مزايا مجلة المقفيس التي يطابق بها اسمها مسماها نشر رسائل بناء الكتاب المتقدمين وقد استحسن صاحبها ان يجمع أحسن هذه الرسائل من مجلته ويطبعا مجموعة على حثها ليسهل تناولها على غير قراء المجلة ففعل وقد احسن فيما فعل صدرت المجموعة الاولى من هذه الرسائل في مئة صفحة كلها من كلام عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى وهما ممن تضرب يلاغتما الامثال وتشد الى كلامها الرجال ومن اطرف هذه الرسائل رسالة ابن المقفع في سياسة الدولة وصحابة السلطان ورجاله ورسالة عبد الحميد في نصيحة ولي العهد وتبسة الجيش. وقد غني الناشر تصحيح هذه الرسائل معارضة على أصلها ولم يتبع سنة أكثر طائفي الكتب بمصر من اهمال التصحيح فما يوجد فيها من الغلط فالذنب فيه ذنب النساخ المحرفين مع قهر بلادنا من النسخ التي يعارض عليها الأصل. وثمن هذه المجموعة اربعة قروش واجرة البريد قرش واحد فنحث محبي الآداب والحكم وطلاب الانشاء العربي البليغ على قراءتها

### ﴿سر قديم الانكليز السكسونيين﴾

قد اصبح هذا الكتاب اشهر من نار على علم وترجم باشر ثقات الامم ولا فرو فان قديم الانكليز السكسونيين وسبقهم لغيرهم من الامم العزيزة التي تساويهم او تفوقهم في العلم والمدنية مما لا يحاري فيه احد الا من يجهل ان الشمس لا تغيب عن سلطنتهم وان مئات من الملايين خاضعة لسيادتهم ، فمن جهل هذا التقدم لا ميتة ، او تجاهله لغروره وغباوته ، فان الامم الحية التي تسابق الانكليز في ميدان الاستعمار وتجاريا في تلك الجوارى المنشآت في البحار ، هي البجديرة بأن تعرف سر قديمهم ، وسبب فوزهم وسبقهم ، فانه لا يعرف قيمة الشيء من كان بعيدا عنه ، كما يعرفه من هو على مقربة منه ، لذلك كان علماء فرنسا اسبق الناس الى معرفة قيمة ما امتاز به الانكليز على غيرهم من الامم في تربيتهم وتعليمهم ، وأخلاقهم وآدابهم ، وقد ألفوا

(الطراز ٧) (٦٨) (المجلد الجادى عشر)

## ٥٣٨ مسامرات الشعب . مجلة التذكرة ( المارچ ٧م ١١ )

في ذلك الاسفار الكثيرة التي يعد كتاب سر تقدم الانكليز من أشهرها . وكان من حسنات أحمد فتحي باشا زغلول في قومه وخدمته للغة أمته ان ترجم هذا الكتاب بالمرية . ويسرنا ان طبعته الأولى قد نفذت وان خليل بك صادق صاحب مطبعة الشعب عني بإعادة طبعه بإذن المترجم ويزيدنا سروراً أن طبعته هذه أبهج من الأولى وأشد اتقاناً . وقد أبقى ثمنه كما كان وهو عشرون قرشاً بل هو يهديه الى الذين يؤدون قيمة الاشتراك في مجلته ( مسامرات الشعب ) . ولا ينسين القارئ في هذا المقام رفيق هذا الكتاب في غايته ومقصده واعني به كتاب ( الترية الاستقلالية — أو — اميل القرن التاسع عشر ) فان مؤلفه العالم الفرنسي قد اختلف فيه ان تكون ترية الاخلاق واستقلال النفس ترية انكليزية ، وتعليم العلوم العالية على الطريقة الألمانية ، واتي ارى ان المصريين وجميع العثمانيين أحوج الناس الآن الى مثل هذين الكتابين لأنهم في طور انتقال من حال اجتماعية الى حال ، وهو طور محفوف بالأخطار ، التي يستعان على تلافيها بالتأسي والاعتبار ، ولا ينفعا التأسي بأمة كما ينفعا التأسي بالأمة الانكليزية التي هي أقوم أم المدنية اخلاقاً وأشدّها محافظة على ما كان عليه سلفها من الخير والدين وتبتاً في التثبت بالجديد

### ﴿ مجلة مسامرات الشعب ﴾

قد انتهت هذه المجلة وصارت أحسن اختياراً للقصص مما كانت عليه من قبل . ومن آخر ما نشرته قصة لصوص باريس وهي قصة تنيد المتفرنجين من أهل هذه البلاد ان اعتبروا بها مالا تفيدهم كتب الاخلاق والوعظ بما تمثل لهم من حيل الأوربيين القامرين على سلب أموال الاغنياء الأغنياء ، لا سيما الغرباء ، وفيها حرب عوان بين الفضيلة والرديلة ينتهي بانتصار الفضيلة . ومثلها في هذا قصة سلطان الغرام وهي آخر قصة نشرت في هذه المجلة

### ﴿ مجلات جديدة ﴾

﴿ مجلة التذكرة ﴾ يصدرها بمصر السيد احمد خليل في كل اسبوعين مرة وهي

مجلة دينية اجتماعية ونزعتها صوفية اجتهادية ممزوجة بشيء من الاصطلاحات العلمية

عند الحاجة وسنقل منها نموذجاً للقراء في جزء آخر ليكون خير معرف لها . وقيمة الاشتراك فيها أربعون قرشاً في السنة لاهل مصر ونصف ليرة انكليزية لغيرهم فتمنى لما التوفيق والنجاح

﴿شورا﴾ مجلة علمية اصلاحية تصدر في اورنبورغ من بلاد روسيا محررها صديقنا في الغيب الشيخ رضا الدين افندي بن فخر الدين وهو من علماء الاسلام المصلحين . وقد عرف قراء المنار شيئاً من افكاره العالية وقفه في الاصلاح مما نشرناه من ترجمة رسالة له في مطالب مسلمي روسيا من حكومتهم ولنا الرجاء في ان تكون هذه المجلة هدى ونوراً للمسلمين في تلك البلاد

﴿النصيحة﴾ مجلة علمية أدبية تصويرية تصدر بتونس في نصف كل شهر عربي مرة لمنشأها «الصادق بن ابراهيم» صاحب جريدة النصيحة . وقيمة الاشتراك فيها لاهل القطر التونسي خمسة فرنكات ولغيرهم ستة فرنكات فتمنى لما التوفيق والثبات

## باب الاخبار والآراء

### ﴿الامة العثمانية والدستور﴾

إذا كان المنار لا يسمع عشر معشار ما نعلم من أسباب هذا الانقلاب الذي حدث في بلادنا ومقدماته ونتائجها وما نراه في أمر استفادة الشعوب العثمانية من الحرية والدستور — فذلك لا يصدف بنا عن نشر بعض الآراء والاخبار التي تذكر الكاتبين في الصحف اليومية والأسبوعية ببعض ما رما يذهلون عنه، وتنبه القارئ الى ما ينفع التنبيه له، وإني أشير الآن الى ثلاث مسائل هي أركان العبرة في هذا الباب (١) أول شيء يجب على المنار التنبيه اليه والتنويه به هو ما يؤيد خطته في قناع المسلمين بوجوب حسن المعاملة بينهم وبين من يعيش معهم من غير أهل دينهم وتعاون الجميع على ما يرقى البلاد ويرفع شأن الدولة — وفي رد طعن الطاعنين في الاسلام، بأنه دين تعصب وعدوان، وفي المسلمين بأنهم لا يلتزمون مع أحد من لا يدين بدينهم، لاسيما الذين يزعمون ان العلماء المعتمدين، هم الذين يثبون الشقاق بين العالمين،



أريد هذه الخطوة من الجهة الايجابية والجهة السلبية بما ظهر للعالم أجمع من أن عقلاء المسلمين هم الذين قاموا بهذا العمل الجليل للاتحاد والمساواة بينهم وبين غيرهم وان شيخ الاسلام قد كان وما زال ركنهم الذين يلجئون اليه ، وقطبيهم الذي يدورون حواله ،

ان احرار المسلمين هم الذين بدءوا بدعوة الاحرار العثمانيين من النصارى واليهود في مصر وأوربا وفي الولايات العثمانية الى مشاركتهم في جهادهم ، وهم الذين اعلنوا هذا الجهاد ووطنوا أنفسهم على قتال اخوانهم من الجند اذا هم حاولوا تأييد السلطة المستبدة ثم انهم بعد الظفر بالدستور قد كانوا هم السابقين الى مصافحة الأرمن والروم وغيرهم من الشعوب المواقين لهم في العثمانية المخالفين في الاعتقاد وهم الذين رفعوا أصواتهم في كل مكان بأننا لا نجعل الدين مفرقا بيننا وبين اخواننا العثمانيين بل نكون معهم كما أمرنا الاسلام باهلول المشهور فيه « لم مالنا وعليهم ما علينا » بل منهم من بالغ في قوله وغلا في رأيه فاستحسنوا التنازل عن بعض حقوقنا ، إرضاء لماطفة بعض شعوبنا ، كالذين يرون أن يجعل جامع أيا صوفيا مجلسا للبعوثيين ، ويخرج عن كونه مسجدا للمسلمين ، وهم من الترك الذين يذكرون هذا الجامع بذلك الفتح المين ،

هذا ما فعله مسلمو العثمانيين من البدء في الدعوة الى الاتفاق والعمل بها في كثير من البلاد وهذا ما ينبغي ان يفعله الباقيون فان المسلمين هم العنصر الأكبر والأقوى فاذا هو علم أن الخير في الوفاق وعمل بذلك تبعه غيره بالضرورة ولو قام أحد الشعوب القليلة الضعيفة يدعو الشعب الكثير القوي الى المساواة وهو غير مقتنع بها لما كانت دعوته محجوبة ولا مقبولة

فادعو المسلمين في جميع البلاد العثمانية الى ان يكونوا هم البادئين ببر غيرهم والاتفاق معهم واشترك الجميع في الأعمال التي توثق الرابطة العثمانية وتصر بها البلاد التي يمتع بعمرانها الجميع ، بهذا تكون الأمة العثمانية ، وتمتاز الدولة العلية ، وبهذا يقطع المسلمون السنة القادحين فيهم من الاوربيين ، ويكونون مهتدين في ذلك بهدي الدين المين ،

أدعو إلى هذا مذكرا بالاعتدال فيه ، لئلا يفضي التلوفيه الى ضد ما يراد به ، بأن يعتقد الجمهور أن كرتهم بالدستور خاسرة ، أو انهم يسرون الدنيا بخراب الآخرة ، فيحملهم ذلك على الشنآن ، أو يدفعهم الى العدوان ، فعلى المرشد ان يكون حكيما في نصحه ، مراعيلا لانتعداد الاكثرين في هديه ،

وأذكر الجميع بأن الطفرة محال ، وان ما يحصل بالتدريج يكون أولى بالبقاء والثبات ، فإذا ترك أحد الفريقين للآخر ما كان يراه حقا له ، فلا يستعجل عليه بطلب سائر ما يراه من الحقوق لنفسه ، حتي التقاليد القديمة ، والعادات الراسخة ، فان المصلح في القوم ليدعو أبناء جنسه ودينه ووطنه الى ترك بدعة من البدع أو ضلالة من الضلالات ، وقيم على دعوته الحجج القوية والآيات البينات ، ثم لا يستجيب له قومه الا بالتدريج ، وأرى ان من الحكمة في تلافي الشذوذ والتقصير ، ان يادر العقلاء والصحافيون من كل أهل دين الى انتقاد أهل دينهم ولو بالعنف ، والسكوت عن غيرهم أو الاعتذار عنهم ولو بالتأويل ، هذا اذا كان الشذوذ صريحا في مناوأة أحد الفريقين الآخر ، والا اتفق الجميع على انتقاد المسي من حيث انه مسي ، من غير ذكر لدينه ومذهبه ، ولا اتهام قومه بمشايتهم له ،

( ٢ ) انتقل باقارئ من المسألة الدينية ، الى المسألة الجنسية ، فقد كان التعصب للجنس اشد خطرا على الدولة من التعصب للدين ، فان الشقاق الديني اذا كان يقدر جسم الأمة فيجعله نصفين ، فان الشقاق الجنسي يمزقه فيجعله أجزاء كثيرة ويصيب شره الجميع ، فالمسلم التركي ، يعادي المسلم العربي ، والنصراني اليوناني ، يعادي النصراني البلغاري ، وعلى ذلك قس

لو بدأ بالدعوة الى ترك العصبية الجنسية العربي او الكردي او الألباني او الأرمني أو الرومي او البلغاري لما سمعت للبادئ من هؤلاء دعوة ولما كان لها من الوقع والتأثير عشر معشار ما كان لجاهرة التركي بها ، لان الترك هم اصحاب السلطة في الدولة فهم من هذه الجهة كالمسلمين من سائر الملل فلما قال أحرارهم هلموا ايها ايها العثمانيون ترك التعصب للجنس ونشترك بلقب واحد لا يقصد به امتياز جنس على آخر لباهم الجميع حامدين شاكرين . فوجب ان نخص الجنس التركي



بالثناء الحسن قبل ان تناسي او تنسي انا أجناس مختلفة - ولا بدع في جهر الترك بذلك فانهم كما صرحنا منذ بضع سنين أرقى العثمانيين تربية وتعلما، واعلاهم أدبا وتهذبا (٣) بعدد كرمسألي الدين والجنس اذ كرسنا من عمل الجمعية التي تلافى ضررها وسعت مع غيرها لخير العثمانيين كافة - ينضم العثمانيون الأحرار الى هذه الجمعية - جمعية الاتحاد والترقي - ويعمل الجميع لحفظ الدستور الذي نالوه بعد السعي الخثيث اليه حتي اندججت الجمعيات فيها او كادت ، وتداججت معها كما أرادت ، وان هؤلاء الأحرار المتحدين في هذه الجمعية هم الذين يديرون نظام المملكة الآن ، وقد ظهر من كفاءتهم واعتدالهم ما جعلهم موضع إعجاب الأمم والدول الأوروبية كما تنطق جرائدها بلغاتها المختلفة . وقد مر على اعلان الدستور شهر أو أكثر ولم يبلغنا ان احدا انتقد على الجمعية عملا من الاعمال أو أدبا من الآداب على ان اوربا تراقبها مراقبة الناقد البصير الذي لا يحابي ولا يدهن حتي قلنا ان « مجلس المبعوثين » لا يرجي ان يكون خيرا منها في الادارة والاصلاح ، ولا أقرب الى العدل والانصاف ،

ينحصر عمل الجمعية الآن في ثلاثة مقاصد (١) تطهير الدولة ملكيتها وعسكريتها من المفسدين الذين ناط بهم الاستبداد السابق أمورها (٢) تقوية استعداد الأمة للحكم الدستوري (٣) تحسين الصلات بين الدولة العلية ، وبين جميع الدول الأوروبية ، لا سيما ذوات السبق الى الحرية كانكلترا وفرنسا

اما تطهير الحكومة من رجس اعمال الاستبداد السابق فالمبادرة اليه من اهم الضروريات قبل ان يجتمع مجلس المبعوثين وتلقي اليه الجمعية مقاليد السيطرة والمراقبة فانه ليعجز ان يعمل في عدة سنين ما تعمله هي في هذه الاشهر التي تقدم اجتماعه كما يظهر لنا من الطريق السوي الذي سارت عليه في ذلك - فقد بدأت بتطهير المايين والباب العالي ونظارة الحرية واكثر الولايات في وقت واحد - فأخرجت من المايين رؤساء الفتنة والفساد وعزلت السر عسكر رضا باشا وناظر الداخلية ممدوح باشا وسجنتهما مع تحسين باشا رئيس كتاب السلطان والشيخ أبي الهدي احد مستشاريه وفر من رؤساء المايين عزت باشا ونجيب باشا ملحمه وسليم باشا ملحمه الى اوربا - واخرجت من المايين اكثر الحجاب والكتاب والخدم



ومثلي الروايات وأجواق المويستقات من النساء وحددت نفقات السلطان وراتبه الشهري ونفقات قصره وجعلت جميع بطائنه من الأحرار أعضاء جمعية الاتحاد والترقي قال الأمر الى أن وضع هو على صدره شارة الجمعية وقال انه رئيسها وكثير الغزل والنقل في المعسكرات وهذا ضروري جدا لتكون الجمعية واثمة من القوة التي هي سياج الدستور وعماد الأمن . وكذا في الدوائر الملكية . ولا رأى كثير من الخائنين ان إخوانهم في الفساد والتخريب يزلون بادرؤا الى الاستقالة فكثرت بذلك الاعمال التي ليس لها الآن عمال ، واختيار الابدال عسر جدا مع تحري الاكفاء أصحاب النزاهة ، فلذلك نرى انه يجب على الجمعية ان قبل من عمال الاستبداد من لم يعرف بالتجسس ولا بالرشوة ، وان كان ممن جروا على مصانعة القوة ، وان تجري في ذلك على سنة التدريج فان في العجلة مفاسد كثيرة ، واما تقوية استعداد الامة للحكم الدستوري ومقت الاستبداد فقد سارت الجمعية فيها على الطريقة المثلى بتأسيس شعب لها في كل مدينة يرتبطون بالجان العليا في الاسانة وسلايك وأوربا ، ويحمل الشعب على المظاهرات وتجرية على الخطب الحماسية في تمهيج الحكومة السابقة حتى افراط بعض الناس في ذلك افراطا لا يحمده عاقبته ثم اننا نرى بعين البصيرة ونسمع من اخبار البلاد ان كثيرا من المناقنين اعوان الاستبداد السابق ومحبيه يتهاقون على الدخول في شعب الجمعية تعريزا بالقوة واكتسابا من السلطة ، لاحبا في الدستور وحرصا على الحرية ، ولكن قلما يرقى هؤلاء بانفسهم الي ان يكونوا اعضاء عاملين في الجمعية ، كما صار يدعي كل من كان يطن في الدولة انه من الاحرار طلاب الدستور . ونرجو ان يوفق الاعضاء الصادقون الى تمحيص شوائب هؤلاء الاوشاب أو الى محققهم وتزكية الجمعية من نفاقهم

هذا — وان في البلاد نوعا من جرائم الفساد لم يبلغنا ان الجمعية قررت إزالته على شدة خطره على الحرية . الا وهو عصابات الفساد من أشقياء الاهالي الذين يظلمون الناس ويبنفون في الأرض بغير الحق ويأوون الى بعض الوجها فيتقذونهم من الحكم بالرشوة حتي بلغ من استهاتهم بالحكومة في بعض البلاد ان زالت هيئتها من قلوبهم وصاروا يأتون المنكرات على رأى من شرطتها وهم آمنون مطمئنون

فيجب على الجمعية ان ترشد الحكام الاحرار الذين قيسهم الآن الى نقب هؤلاء الاشقياء وتريتهم بالشدة التي لا يطعمون معها في عودتهم الى مثل ما كانوا عليه في أيام الحكومة السابقة والا كانت فائدة الحرية للاشرار وغائلتها على الابرار وأما المقصد الثالث من مقاصد الجمعية وهو موادة الدول الاوربية ، فقد كانت فيه احزم واحكم منها في سائر أعمالها الحسنة ، ولا نرى فيه شائبة نذكر بها الا الاحتراس من جفوة المانيا والنمسا والله الموفق فنسأله حسن الختام

### ﴿ المجلس النيابي لمصر ﴾

ذكرنا في الجزء الرابع من منار هذه السنة أن انكلترا عازمة على انشاء مجلس نيابي في مصر وقد تلقى جمهور المصريين هذا الخبر بالدهشة والاستغراب وعدوه مناقضا لما يستتبع من سيرة المحتلين في مصر وتصريحات لورد كرومر في تقاريره وناظر خارجيتهم في مجلس النواب بلندره ، وكنا نظن ان حركة القبط التي شرحناها في الجزء الخامس مما يحتمل ان يحمل الانكليز على ارجاء السماح بانشاء هذا المجلس الى أجل حتى جاءنا بأ جديد من أبناء أوربا السرية العالية بأن القوم لا يزالون على هزيمهم وان مجلس النواب المصري يوشك ان ينقذ في السنة القابلة

لا أقول ان كتابات القبط التي تنابت على لندره لم يكن لها أثر فيها وانما أقول انه قد عارضها اعلان الدستور في الدولة العلية واضطرار حكومة بريطانيا لإظهار الرضا والابتهاج به وما اضطرها الى ذلك الا اخلاق شعبها وقائدها القديمة الراسخة في حب الحرية ونصر الاحرار أينما كانوا وحيتما وجدوا فرأت وزارة الاحرار الانكليزية انه لا يليق بها ان تظهر الميل الى الدستور في مكان والميل عنه في مكان آخر على ان الانكليز قوم يجارون الطبيعة ولا يقاومونها ويمامون في كل حال ما يرونه يليق بها ويوشك ان يكون للوفد المصري الذي سافر الى لندره برئاسة اسماعيل باشا أباطه تأثير حسن في المسألة فان انكلترا يصعب عليها أن تؤدي هذه الخدمة لمصر بطريقة يسهل فيها غمط حقها وانكار فضلها وإسناد عملها الى غيرها مع انه لا يمكن ان يتم في مصر أمر عظيم بدون رضاها ما دامت جيوشها محتلة فيها



## كيف نستعمل الحرية (\*)

أيها السادة الأحرار

وقفت غير مرة مثل هذا الموقف بعد اعلان الحرية ، وكنت في مواقفي الأول أرسل القول إرسالاً ، لأن المواضيع متوفرة ، والشعور بالحال اطلق اللسان من عقاله ، وفك الافكار من أصفادها ، بعد أن لبثت مدة ترسفت فيها ، حتى كدنا نبأس من انتهائنا ، مع علمنا بأن لكل بداية نهاية .

ولكنني الآن اتلو عليكم خطبتي تلاوة ، لأنني سئلت ان اتكلم في موضوع لا اتعداه ، ومرئجل الكلام لا يستطيع حصره في موضوع واحد ، لأن الخطب الارتجالية حرةٌ مثلكم أيها السادة فهي تأتي التقييد ، وقد جعلت موضوع خطابي هذا « كيف نستعمل الحرية » لأننا احوج الى هذا الموضوع الآن من سائر المواضيع خاض الخطباء في تعريف الحرية وحدودها ، حتى كادوا يضعون لها قيوداً ، ويخرجونها عما وجدت له ، ولو كانت ذات شعور لمجبت كيف يحاول تقييدها طاقواها وكاد قوم بهذه النواحي يشوهون وجهها الجميل ، ويشوشون مفهومها المستبين ، فظنوا ان الحرية تبيح للناس امتنان حكامهم ، والنهي على صالحهم وطالحهم سادتي : ان من يدفع عن مركزه بقوة ، انما يرجع اليه مثل القوة التي دفع بها ، فإذا كانت المظالم زحزحتنا بقوتها الوحشية عن مكاننا ، فنحن لا نتركز في نقطة الا اننا دفنا تلك المظالم في صدرها ، وانحنينا باللائمة على القائمين بها الشعب الذي يغلو الحكام في ظلمه ، يجب ان يتطرف في الحرية متى نالها الحاكم المسترسل بالظلم ، الملوث بالرشوة ، لا يفيقه من سكرة الاستبداد الا التفرغ الفظيع ، والتنديد الشديد ، فهو كالعضو المخدر ، لا يحسن الا بالوخز المؤلم وربما لا يحسن به

( \* ) خطبة من الخطب التي القاها في احدى احتفالات الحرية ببيروت السيد

حسين وصفي رضا شقيق صاحب هذه المجلة ( المنار )

( المجلد الحادي عشر )

( ٦٩ )

( المناج ٧ )



كل هذا ايها الأخوان لازم بل واجب ، ولكن لا يسوغ ان نجعله ديناً لنا حتى كأنه هو المقصود بكلمة الحرية ، إذا نكون صرفنا الحرية عن معناها، ولم نعرف كيف نستعملها ، وحاشا ثم حاشا ، وكلا ثم كلا

أيها الشعب السوري العظيم ، يا سلالة الفينيقيين الذين ادهشوا العالم ، الذين لم تهب سفنهم هجمات امواج المحيط الاعظم ، الذين ملأ ذكرهم بطون التواريخ ، اني أحبك واهش لك ، أحبك باسم الحرية ، وانا ديك بمل ماضي : انت أسى من أن تضع الحرية في غير موضعها ، وانت احق بها واهلها ، بل إنما وجدت لتكون لك قبل كل البشر

الحرية هي تمتع الشخص بما لا يضر به سواء ، وصيانة الافراد من عبث الحاكمين ، وسهولة سلوك السبيل التي من شأنها إعلاء شأن الأمة ، وتبسط انبائها في الحضارة والعمران ، وعدم استكانتهم للظلم والهوان ايج لنا القول ايها الاخوان ، فاسترسلنا في القول ، والقول مقدمة للعمل فيجب ان نعمل أيضا

وضح لنا بهج المعين الذي ارتوى منه الافرنج قبلنا ، فلا يحسن بنا ان نرتشف منه ارتشاقا ، بل يجب ان نبتله ابتلاعا اذا قدرنا

أتيح لنا ان نعمل ما نشاء ، فلا يليق بنا ان نعمل ما من شأنه إضعاف قوانا وإنهاك جسامنا ، بل يجب ان نعمل على ما يرفع شأننا ، ويجعلنا في مصاف الأمم الحية الراقية ، وبذلك نحسن استعمال الحرية

الجميات هي اساس النجاح ، ودعائم الرقي ، فيجب ان نؤسس جميات ، لا يسوغ ان تكون جمياتنا لطائفة من الناس ، لا يجوز ان تكون اسلامية أو مسيحية أو يهودية مهما كانت وجهتها ، وأنى كان قصدها ، بل يجب أن تكون عثمانية بحتة ، اتم عثمانيون ايها الاخوان ، فيجب ان تكون جمياتكم عثمانية ، الجامعة التي تنضمون تحت لوائها هي العثمانية ، فاجعلوها جمياتكم كذلك تحسنوا استعمال الحرية عاشرت اثنين ايها الناس منذ بضع سنين اسمها مشترك بين المسلمين والنصارى وانا للآن لا اعرف ان كانا مسلمين او نصرانيين ويجب ان تكونوا اتم كذلك

ايضا ، يجب أن تتعارفوا بعثانيتمكم لا بمذهبكم ونحلتكم ، أليس كذلك ؟ بلى بلى  
المدارس الوطنية هي كل ما نحتاجه الآن ، لنهض من كبوتنا ، ونُقَال من  
عثرنا ، وليس عندنا الآن مدارس وطنية بالمعنى الذي أريده ، أريد بالوطنية التي  
تضم الفرق والنحل ، وتنشئ طلابها تنشئة واحدة ، غايتها إعلاء شأن الوطن ،  
ووقاية الحرية بالمهج والأرواح ، والمدارس هي بنت الجمعيات وبنتها فتى انشئت  
الجمعيات فقد أُمست المدارس ، فانشئوا الجمعيات انشئوا الجمعيات تحسنوا استعمال الحرية  
الجرائد هي القوة الكبرى والمدرسة التهديبية ، وهي ميزان أعمال الأمة ، وعنوان  
حالتها ، وهي المسيطر الرقيب على الحكومة بل ان رقابتها تداول كل شيء ، وهي قائد  
الأمة الى مواطن السعادة والهناء ، والصادقة بها عن مواطن البوار والشقاء ، فيجب ان  
ان تكثر الجرائد بيننا ويم انتشارها وبذلك نحسن استعمال الحرية

الخطابة هي مدرسة الشعوب الثانية بعد الجرائد ، ولها من العوامل في التأثير  
الكبير ، ومن البواعث على العمل المفيد ، ما يرفع ويعلي ، وينتاش الأُم من الحضيض  
الاسفل ، وينيف بها على يفاع المجد والسودد ، واذا كانت الجرائد لا تقرأ فقط فان  
الخطب يتناولها سمع القارئ والأُبي ، ويستفيد منها العامل والجاهل ، والنشيط والخامل ،  
والصانع ، والزارع ، بل هي لكل احد ، والخطابة الحرة وكانت ولا تزال من  
الدعائم التي يشاد عليها بناء التمدن الباهر ، ويرتفع بها صرح المجد الحقيقي ، فالمنابر  
المنابر !!! لا تهملوا شأنها ، ارفعوا اعوادها ، ليرن صوت خطبائها ، ليهتفوا فلتندم  
الحرية ، فبذلك نحسن استعمال الحرية

التآلف بين الفرق والنحل هو الضامن الوحيد لبقاء وحدتنا ، واجتماع قوانا ،  
والمحافظة على حريتنا ، وبه نرد عادية المظالم ، وندفع غائلة الظالم ، وهو الذي يجعل  
مجموع أفراد الأمة كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد  
بالسهر والحلم ، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، كما ورد في الحديث  
الشريف ، فيجب ان تتآلف ، يجب ان تتآلف ، يجب ان تتآلف ، لنحسن استعمال  
الحرية ، فليدم التآلف

ان استعمال الحرية يكون بالسير على النهج الذي أشرعته لكم أيها السادة ،

## ٥٤٨ كيف نتمتع الحرية (المنار ٧ م ١٩)

وثة شؤون آخر ، يضيق مثل هذا الموقف عن استيعابها ، ولنا من حزم رجالنا خير  
كفيل للسير على النهج السوي ، والطريق المعبود ، والأمل معقود على ان  
بينوها بالصل لا بالقول

بقت لي كلمة أراني ملجأ الى الجهر بها ، قبل نزولي عن هذا المنبر ، تلك  
الكلمة هي إعلان استيائي واستياء العقلاء ، ممن يذهبون إلى أن الحرية منحة أو  
هبة من شخص معلوم ، أن هذا القول لا يليق صدوره من الأحرار ، إنه كذب  
وخيانة وفاق ، وليست هذه الخصال من الحرية في شيء ، أن الحرية هي حق  
لشعب يسلبه منه بعض الظالمين سلباً ، فليل الشعب له انما هو استرداد لحقه  
المقتصب منه ، وليس من الهبات والمنح ، الحرية ليست ملكاً للحاكم ولا للسلطان  
فكيف يهب الانسان ما ليس بملك له

هذا واتي أشكر لجيشنا الباسل سعيه الكبير ، وعمله العظيم ، الذي خاف  
به كل جيوش العالم ، منذ وجد الجيش وأسست الجندية ، فان الجيوش في كل  
الأدوار والأجيال ، كانت يدافعون القوي ، يستعين بها على قتل روح الحرية ، ولا  
أذهب بالاستشهاد بكم بعيداً أيها السادة ، بل ألفت انظاركم الى فظائع جيش العجم ،  
ومنكرات جيش روسيا ، وكيف يمثلون بطلاب الحرية أقبح تمثيل عملاً بإرادة  
المستبددين ، وتنفيذاً لمقاصد الظالمين ، فليمت المستبدون ، وليسحق الظالمون

واشكر أيضاً لرجال جمعية الاتحاد والترقي العثماني ، ولكل رجال الإصلاح  
الذين وقفوا حياتهم ، وخطروا بأرواحهم ، في سبيل استرجاع الحرية ، وأصرح  
بأن جمعيتهم قامت بما لم تقم به جمعية في العالم منذ أسست الجمعيات ، فانها كانت  
سبباً في إحياء شعب بأسره ، لأن الشعب المستعبد هو الميت شرعاً ، هذا مع  
اعترافي بما للجمعيات من الأثر المحمود في خدمة النوع الانساني

واسأل الله أن يوفقنا للسير على ما يلي شأن أمتنا ، ويرفع مقام دولتنا ، ويحفظ  
علينا نعمة الحرية ما دامت السموات والأرض ، اه

( المنار ) جاءنا من بيروت ان الجمع المحتفل قد صفق للخطيب صفيقاً شديداً ،  
وحثف بالثناء له والمنار هتافاً كثيراً ،



## (المترج ١١٧٧) الحب الشريف - طبيعة نفس الإنسان ٥٤٩

### الفصل الحادى عشر (\*)

( الحب الشريف )

إن أشرف السير سير أهل الفضيلة وما الفضيلة إلا من خصائص  
النفس فمن كان من عشاق الفضائل حسن به أن لا تقتصر نظرات بصيرته  
الى النفس فهي مستقر الخوارق ، ومستودع المعجائب  
النفس على الآيات الكبر ، ومهيطة القيوضات العلى ، والمرآة العظمى  
التي ينكشف بها الازل والأبد ، والمطبعة العظمى التي ترسم بها الاشياء  
وتكثر الصور ،

هي السلك الممدود بين مبدع الطباع ، ومقيم الشرائع ، وبين  
الجواهر المتألفة الصامتة ، والظواهر المسخرة المطيعة ، فهي خليفة عليها  
واقفة على خطواتها ، مشرفة على حركاتها ، وهي مجذوبة من طرف اليها  
بجاذبية الانس والمادة ، ومجذوبة من طرف آخر الى مصدر بوارقها  
بجاذبية الحب والشوق ، فبأنجذاب النفس الى الظواهر تأخذ الظواهر  
حظها من الانكشاف ، وبأنجذاب النفس الى مانع الظهور تأخذ النفس  
حظها من الشهود والاشراف ، فيحق لها في الحالتين أن تتعبد بما ميزها  
به فاطرها تباركت عظمت ، وتعالى شأنه ،

أعظم خصائص النفس الحب والبغض بل ان هاتين الطيقتين  
المتضادتين أعظم وأميس الا واكوان لوجودات كلها ، لكن اختلقت

(٥) من سيرة السيدة خديجة

## ٥٥٠ الحب الشريف - طبيعة نفس الانسان ( الماراج ١١م٧ )

المحبات ، وتباينت الاشواق ، وأوتيت النفس الانسانية أعظم نصيب من هاتين الطيبتين لاتساع المحيط الذي تدور فيه ، ولا تصالها بعالم الحس وعالم القيب ، وترددها بالأنجذاب بينهما فهي ان وقتت يوماً مع الظواهر أنست بها ففشتها لما رش عليها مبدعها من الحسن الذي هو وصفه ، وان ارتفعت الى المبدع دهشت فتولت فتدلت لما هنالك من المجالي الازلية التي تطير السرائر شوقاً الى التمتع بها

الفضائل والذائل ، الخيرات والشرور ، الحزن والسرور ، الرغبة والرغبة ، الاقدام والاحجام ، الكسل والنشاط ، الارتفاع والهبوط ، كل ذلك من مبدعات الحب والبنص وآثارهما . وكل درجة من هذه الاشياء قائما هي على مقاييسهما ، هما بالاختصار ركنا السعادة والشقاء ، فمن هدي الى تصريفهما والجري بهما على سنة مثلي فقد أهديت اليه السعادة وأوتي بالحب الشريف والبنص الشريف حظا من الخير عظيم



كانت السيدة « خديجة » ذات قلب طاهر والقلب الطاهر مركز الحب الشريف فماذا أحبت سيدتنا هذه ؟ كان قلبها تواقاً الى مهالي الامور ، عظيم الشنف بحاسن الاخلاق ، وقد أمد الله فطرتها امداداً عظيماً قويته معرفتها بالمكارم ، وعظم علمها بأن الفضائل هي التي تليق بالانسان سواء وقتت نفسه مع هذه المحسوسات أم أرادت أن تندرج في زمرة عشاق المجالي الازلية

عرفت هذه السيدة صلة النفس الانسانية بمن منه انشقت أسرارها ،

(الناشر ١١٧٧) محبة خديجة للنبي (ص) ومزاياه ٥٥١

واشتقت أنوارها، فكان لها تشوف الى جود عظيم يفيض عليها من العناية الربانية، كما هو شأن ذوي السرائر الصافية، وحصل لها من هذه الحالة الطيبة قوة فراسة والقراءة نور فكانت تهدي بها فيما هي حائمة الروح عليه من الفضائل، ومن أحب شيئاً أحب أهله من أجله، فلما عرفت ابن عبد الله ووجدت فيه ما يمشق من المزايا العلية، انتشرت حبة من تلك المحبة الشريفة التي كانت بها تنشد المكارم فوقعت في محل من قلبها لتنبئ شوقاً الى هذا الرجل الصالح الذي ألف المكارم كلها لديه، وأيقنت ان معرفتها هذا السعيد بمزاياه العظيمة هو أعظم الآثار التي كانت تشوف اليها من لدن العناية المرجوة .

الآن وجدت محبة الفضائل والحمد أعظم من تجلي الفضائل والحمد فيه فكيف ينفر منه قلبها؟ بل كيف لا يميل اليه فؤادها؟ فالأمانة هو ذلك الشهير فيها وقد سبرته في متجربها فربحت بواسطته أضعافاً، والشجاعة هو المنشأ فيها على يد عظم الهمة أبي طالب، والنباهة هو الذي تسطم في عياه طوالمها، والحكمة هو الذي قرأ في سباه آياتها، والعفة هو ربها، والمروءة هو مجمع شواردها، ومحاسن الخلقة هو النسخة الصحيحة منها، فأبي الفضل تنشد بعد هذا محبة الفضل، وأي الحمد تريد بعد هذه مريدة الحمد؟ كمال خلق وكمال خلق، جمال شخص وجمال نفس، حنكة لم يظفر بمثلا أقرانه من الشبان، ووقار لم يحظ بأقله الكبار، وهمة لا تقف أمامها الصعاب، وعزيمة لا تني أمام الثقال، قوي شديد، حليم رشيد، كما يقول فيه عمه أبو طالب وهو به جدير :

فن مثله في الناس أي مؤمل إذا قاسه الحكماء عند التفاضل ؟



حليم رشيد مادل غير طائش      يوالي إلها عنه ليس بنافل  
لقد علموا أن ابننا لا مكذب      لدينا ولا يعني بقول الأباطل  
فأصبح فينا أحمد في أرومة      قصر عنه سورة المتطاول  
فأكثر غبطة السيدة «خديجة» إذ عرفت هذا السيد الجليل، وما  
كان أجدرها بأن يتلقى قلبها الطاهر به، وما أقوى نور فراستها إذ علمت  
أنه لا نظير له، وأن سعادتها لا تتم إلا به، وما أحقها أن تشتم الفرصة وتسبق  
إلى تزوج هذا الشريف الذي جمع إلى شرف النسب شرف الخلال

## الفصل الثاني عشر

### مقاؤل هنا وقته

كانت الكهانة شائعة في ذلك الزمان كما هو شأنها في كل الأزمنة  
إلى زماننا هذا وكان علماء التوراة ينبئون دائماً بظهور نبي متطهر وبعضهم  
كان يقول أنه سيظهر من العرب . والراهب مجيراً قمرس بابن أخي أبي  
طالب إذ كان معه صغيراً وقال له: سيكون لابن أخيك هذا شأن: ولم  
يكن بعيداً عن المألوف أن يخبر بعض الناس بالمغيبات ولكن لم يكونوا  
يصدقون كل شيء من هذا القليل ولا يكذبون كل شيء كما هو الشأن  
في أهل زماننا أيضاً

وقد كثر التكهن قليل ظهور النبي (ص) ولكن أكثر الناس لم  
يكونوا يبالون بتلك الأخبار لأنهم تعودوا أن يروا شيئاً من كذب  
الكهانة مع مصادمة صدقها أحياناً فلم تكن الثقة بها في الحقيقة عامة  
ولا سيما في الأمور العظيمة

وبينما نساء من قريش مجتمعات في عيد لمن في الجاهلية اذ تمثل لمن رجل فلما قرب نادى بأعلا صوته: يا نساء أهل مكة سيكون في بلدكن نبي يقال له أحمد فمن استطاع منكن أن تكون زوجا له فلتقبل، فكذبته ورمينه بالحصى وكانت فيهن «خديجة» فلم ترمه كما رمينه

لم يكن هذا النبيء كاهنا معروفا فلذلك احتقره النساء لأنهن لا يمانن في الغالب إلا بأهل الشهرة . ولكن كان قومهن يعتقدون بالمخاف وهو على اعتقادهم روح ينطق بالشيء من حيث لا يرى أو يمثل بصورة بشرية فيقول قولا من هذا القبيل ثم ينسب فكان السيدة «خديجة» اعتقدت ان هذا المنادي مخاف فلم ترمه كما رماه ترائبها ولطبا صدقت اذ ذاك وقامت خيرا ورجت أن تكون صاحبة هذا الحظ

وان صح ظننا هذا بالسيدة كان لنا دليل جديد على عظيم تطلعاتها الى بركات الجنب القدسي فاذا الرغبة في زوج المنعم عليهم بالنبوة لا تنظم الا من العارفة بذلك الجنب الاعلى الذي يفضل بمخلة النبوة على من يشاء كانت النبوة معروفة عند قومها بما سمعوه من أخبار أنبياء جيرانهم بني اسرائيل ومعروف ان النبي رجل كالرجال ولكن يصطفيه الله ويرفع درجة نفسه على درجات سائر نفوس البشر حتى يطلعه على عالم يطلع عليه أحدا من أسرار عالم الغيب ، وليست النبوة ملكا أو حظوظا زائدة من نعم الدنيا بل جل الانبياء الذين سلفوا كانوا مقايين ولم يكن حظهم الا مقاومة الناس أيام وتمذيبهم . والنساء انما يرغبن بالنعيم والرفاهية ورغد العيش وكثرة الخلل والحلي وكل هذا لا يرجى لدى الانبياء الذين تنصرف

٥٥٤ معرفة خديجة بالنبوة وخواطرها في محمد ( المارح ٧ م ١١ )

أنظارهم عن متاع النور و لينفقون الى ما فيه غبطة الروح فلا تتصور السعادة من النساء عند الانبياء الا اللاتي أنعم الله عليهن بسلامة الفطرة وقوة الاستعداد كالسيدة « خديجة »

ولما رجع عبدها « ميسرة » من الشام في تلك السفرة التي ذهب بها مع الهاشمي « محمد » أخبرها بأحوال غريبة رآها منه لا يكون أمثالها الا لمن سمعت أخبارهم من الصالحين المباركين فإبت أن رن في قلبها صدى ذلك الصوت الذي سمعته بأذنها ، صوت ذلك المنادي في النساء المجتمعات اللاتي كانت معهن في العيد . وكان هذا الصدى الذي رن في قلبها تألف منه هذه الكلمات :

« تقاؤل هذا وقته »

## الفصل الثالث عشر

الخواطر في قلب « خديجة »

كانت « خديجة » تعرف أن ليست النبوة بالكسب والاجتهاد وانما هي محض عطاء واختصاص من الحي الازلي الدائم ولكن كانت تريد على خواطرها ما حكاها لها عبدها « ميسرة » ويرن على أثره ذلك الصدى في قلبها فتقول في نفسها أي مانع يمنع رجائي بفضل الله بأن أكون صاحبة الحظ من الرجل المبارك الذي أنبأ به الهاتف ؟ أي مانع يمنع فضل الله عن قومي اذا أراد أن يخرج منهم ذلك الانسان الذي يقول عنه علماء التوراة وكان لها ابن عم من جملة علماء هذا الكتاب



(النازح ١١ م ٧) اناني خديجة وخواطرها في الزواج بمحمد ٥٥٥

ثم اذا صرّ بتلبها خاطر آخر يقطع عليها هذه الآمال وينهاها عن هذه الاحلام - التي كانت تراها في اليقظة - ترجع الى الشيء المحقق الذي لا ينزع فيه خاطر ولا يماري فيه حجبى وهو ما تحلى به ابن عبد الله من صفات الكمال، فتمثل في فكرها تلك الطامة السنية ويلمع أمامها برق من تلك العينين الدعجاوين، وتنسى الشمس وسائر الدراري حين تذكر دائرة ذلك الوجه المثلّق، ويقوى إيمانها بالملائكة اذ ترى في هذا الشخص البشري آيات القدس والطهارة، فتقول في نفسها أفليس حسبي أن أكون ربة النصيب من فتي قريش الوحيد الذي كله الله ان لم أكن صاحبة الحظ من الصالح الذي أنبأ به الهاتف

ثم تتراجع اليها الخواطر ويقلبها ذلك الحب الشريف الذي نمت حبه في قلبها على ضروب من الحيرة فتقول في نفسها مرة أخرى: من لي بهذا المكمل الذي مال اليه قلبي، وحامت حوله خواطري، وعكفت في دائرة محاسنه نفسي، أليست تتمم العادات بأن أكون أنا الخاطبة؟ أف للعادات ما أثقل أحكامها، وما أظلم قضاءها، وما أشد عتمة مسالكها، وما أسوأ عواقب الجود عليها، وما أنجس صفقة الذين لا يترحزون عنها، نعم نعم أف للعادات فكم أوقفت بعض الاجيال في سجون ضيقة مظلمة من التقليد الضار، وحجبت عنهم أنوار التبصر والتدبر والتفكر، فانطمست عليهم سبل الارتقاء في معارج الاستحسان والتحسين، ونمت عليهم مطالب السعادة الحقيقية للنفوس

أف ثم أف للعادات فهي قاطمة الطريق على نتائج المقول تزج بها في مهاوي المدم، أو تذرهما في سجن أقفر ممنوعاً عنها كل ما يربها، وباعجبا

لبنى آدم الذين يضعون المادة في هذا المكان من الحكم على قوسهم والقضاء على عقولهم وقلوبهم أليس لهم ما يذكروهم بأن المادة من صنعة أيديهم وتصوير أحلامهم أليس لهم ما يصرح بأن المادة يجب أن تكون تابعة لامتابعة، ومنقادة لآفة، حتى إذا فتحت أمام بصائرهم أبواب آخرها هو خير ودعوا ما بينهم تلك محودة على قدر ما فتحت، ومنذومة على مبلغ ما ضرت، واستقبلوا أخرى مصاحيبها على مقدار ما يدوم من أسبابها، ونفع من أبوابها

تبرمت «خدجة» بالمادة كثيراً، وتأقت من قلوبها طويلاً، وسردت كل سينات الجود عليها في نفسها التي هي أعلى من قوس الناقلين عن المقدمات والنتائج، لما خصها الله من سلامة القطرة، وفضل القطة، وقوة آلة المعرفة، ومزيج حرارة الهمة،

ثم عادت تمر الضغاء الذين لا يستطيعون التغلب على الثابت الراسخ وم لا كثرون وتذكرت أسباب رسوخ بعض الماديات ومنها وفرة فوائدها في أوقات سلفت، وأحوال مضت، ورأت أن الناس يرثون من السالفين كل شيء، ولا يميلون إلى التغيير حتى يميل بهم الدهر ميلة شديدة على يد صنف من الحوادث، أو هبة شديدة من إرادة بعض الأشخاص، وكم دكت الارادات القوية أطوداً من الماديات

ربما كانت هذه السيدة تستطيع التغلب على المادة فلا تجد بأساً بأن تخطبه بنفسها لأنها كانت قوية الإرادة. ولكن من لها بأنه لا يرد خطبتها وهي أرملة في الأربعين من العمر، وهو في الخامسة والشرين يشف مجاه عن ماء الفتوة، وينشر شذى الشباب، والمرأة مها فريت لراحتها تذكر

الخفية فينظب احجاسها اقدامها وهذا بعض أسباب العادة في أن تكون هي المخطوبة

ما أصعب الخواطر على المرأة التي تجرد ضالتها من السعادة ولا تستطيع الاقدام على تحصيلها هي صعبة على الرجل أيضا ولكنها على المرأة أصعب لأنها أضف على كل حال . بيد ان ضعفها الذي زينها الله به في عين الرجل بهتت نفسها وعلت كرامتها لديه . ققوة الخفر والحياء من ضعفها ، وذلك أعظم حلية طبيعية تزدان بها ، ومن عطل من هذه الحلية منهن رغب عنها الكرام من الرجال . وشدة الرحمة من ضعفها وما أعلی وأجل وأزين هذا الضعف الذي بدونه تمت المرأة . والجن من ضعفها ولولا ملاحصل الاعتدال في اقتسام الاعمال بينها وبين الرجل

فإذا تصنع قوة ارادة السيدة « خديجة » أمام شدة خفها وحياتها ، وماذا تنفع شجاعها أمام خشيتها من الخفية ، وماذا تجدي قوة عزيمتها وصبرها عند المزيجات من خواطر الحب الشريف الذي ملأ قلبها الطاهر بعدان كان حبة صغيرة أقيت فيه

الهم رحماك فليست القلوب من حديد ، ولم تقد من صخر ، ان نسيم الخواطر فيها يصعد ان جاءها رائحة الياس ، ويرأب ان أتاه رائحة الرجاء ، وكذلك كانت خواطر السيدة « خديجة » صادعة ورائية ، بيد ان رجاءها كان أغلب ، ولو كشف لها الفطاء عما يحف بها من السعادة المغيبة عنها اذ ذاك لا قلب رجاؤها يقينا . ولكن لتستكمل الفراز حظها من النفوس كتب على الانسان ان يقب عنه آتية من السعادة والشقاء فترى منحوسا بضحك ويلعب والشقاء يساوره عما قريب يأخذه يائسا أو يصبحه وحده



صباحاً . وترى مسعوداً يتلملح ويمسي ويصبح على مضاجع الحيرة والارق  
واجماً سادماً والسعادة من حوله مرفرفة بأجنحتها ستقف مما قريب على  
رأسه وتشمله ويتبارك بها يته

فما أشد حاجة هذه السيدة السعيدة في مواقف حيرتها تلك الى  
هاتف يبشرها بقرب اتصال السعادة التامة بها ، ما أشد حاجتها الى من ينشأ  
بأنها هي الجوهرة النفيسة التي أعادت لذلك الذي ميزته الضاية الازلية  
أكل تميز . ولكن ليظهر مزيد فضلها في الميل الى رب الفضائل والمكارم  
التي لا تباري حجب عنها كل هاتف وحبست عنها البشري حتى أخذت  
الخواطر حفظها من قلبها الكريم وتمكن منه كل التمكن ذلك الحب الشريف  
لذلك الذي أجمعت فيما بعد قلوب الملايين التي لا تحصى على حبه

## الفصل الرابع عشر

### الزواج

لا بدع اذا قلب الشوق نفوس المحبين في يد الخواطر كالكرة بيد  
اللاعب فان قوام الكائنات بشوق ذراتها بمضها الى بعض وكان جديراً  
أن يتجلى هذا المني بزيادة في غريزة خليفة الله في الارض نعي الانسان .  
كيلا يكون بنو آدم وحواء أقص من الجمادات حظا في هذا الناموس  
الكبير القائدة .

فبعد أن تمكن من « خديجة » الشوق الشريف هذا التمكن أصبحت  
جديرة ان تتناول هدية سماتها ، وتكشف لها الحجب عن الرحمة التي

ترعاها ، فهبط على قلبها خاطر جديد كان به الوصول الى النعمة الجديدة  
خطر لها ان تبث الى الذي سكنت مكارمه ومعالیه فؤادها رسولاً  
تسير به رغبته وتستبنيء به سعدا مما ينزل على قلبه من الالهام بهذا الشأن  
وساقها الى هذا الخاطر قوة رجاها بالله سبحانه وحسن ظنها بأن هذا  
المكمل لا يرد رغبة مثلها وهي الجامعة لصنوف من المعالي يقل اجتماعها  
في سواها

كانت لها صديقة اسمها «نقيسة» (وهي أخت يعلى بن أمية) فقصت  
عليها حديثها واثمنتها على هذه الرسالة ولم يكن بالصعب أن تؤدي الصديقة  
هذه الامانة لانها ستتكلم كأنها صاحبة رأي تشير به حتى اذا وجدت  
مجالا كانت وكيلة بابداء القبول

لم تكن النسوة اذ ذاك محتجبات ولم يكن ممنوعات من مكالمه الرجال  
فلم تكن رسول «خديجة» محتاجة الا لشيء من قوة الجنان أمام ذلك المريب  
العظيم وقد أمدت من سعد مرسلتها بحظ منه

ومن يكن راعيه السعد فقل ماشئت في تيسير ما يرجوه  
جاءت «نقيسة» هذه ابن عبدالله وفي القيلة الواحدة يعرف الناس  
بعضهم بعضاً فقالت له ما يمنعك أن تزوج فاعتذر لها بقلة المال اللازم للقيام  
بشؤون العائلة قالت له فان كفيت ودعيت الى المال والجمال والكفاءة قال  
لها «ومن؟» قالت له «خديجة»

قالت هذه الكلمة وصمتت تنتظر ما سيبدو منه وأحدث هذا الكلام  
حركة في فؤاده وبأي شيء يتحدث ذلك الفؤاد الطاهر حينئذ الا بقوله :  
خديجة الشريفة المروفة بالطاهرة ، هي المناسبة ، هي الموافقة ، هي الصالحة

اذهي يا قيسة فاني سأخطبها

فرجعت تحمل هذه البشري وكانت ميمونة النقية في هذه الرسالة  
قائلة يعلم كيف أجزلت السيدة خديجة كرامتها ولم تنتظر كثيراً حتى أتى  
خاطباً ومعه عمه حمزة فقال عمها عمرو بن أسد بن عبدالمزي « هو الفحل  
لا يقدر أنفه » وهو مثل عربي يقال للكفو الذي لا يرد أن خطب  
ما كان هذا الخاطب الكفو غنياً اذ ذاك ولكنه لم يكن أيضاً معدماً  
فهو من آل عبد المطلب العاصرة بيوتهم بقرى الضيفان واغاة الهفان في  
هذا السبيل تذهب أموالهم ثم يخلف الله عليهم من وجوه المكاسب  
وأبواب المراج بما أوتوا من الهم والشم ولم يكن اعتذاره ذلك اعتذار  
المعدمين وإنما هو اعتذار المتربص أن يتوفر له مقدار أكبر . فمع قلة ماله  
في ذلك الحين أصدقها عشرين بكرة لان اعطاء الرجل للمرأة صداق سنة  
عربية لم يكن ليحسن تركها

والزواج العربي ليس محتاجاً الى رؤساء ديات، ولا تلاوة الرؤساء  
صلوات، بل هو عقد كسائر العقود المدنية يتوثق برضا المرأة وأوليائها  
ورضا الرجل، فبخطبة من الرجل وتقديمه الصداق واجابة من المرأة  
وأوليائها تصبح المرأة زوجة شرعية للخاطب . وهكذا أصبحت  
« خديجة » الطاهرة زوجة « محمد » الأمين بكلمة أعطاها عمها عمرو بن  
أسد فأعظمها من كلمة جمعت بين القمرين